لقد سافرت إلى الإسكندرية خصيصاً مبكرة فى موعد السفر حتى لا ترى هذا الذى يحدث بالقاهرة ، وأرغمت زوجها على موعد السفر وأن يترك القضايا التى يدعى أنها كثيرة فى المكتب . ولم يكن زوجها ليستطيع أن يرد لها مطلبًا ، فحياة البيت جميعها قائمة على يديها ، ومهما يكن مكتبه يتيح له أن يقول عن القضايا ما شاء له القول ، فإن الحقيقة آخر الأمر هى أن المكتب يشكل عبئًا من الأعباء التى تنفق عليها زوجته ، ولولا شركتان تعطيان له مرتبًا شهريًا لكان ثمن السجائر وبنزين السيارة عبئًا آخر يضاف إلى أعباء زوجته . فهو لا يتحدث عن قضاياه أمام أوامر زوجته إلا بالإشارة العابرة التى لا تعنى إلا الإبقاء على أطلال رجولة .

و« سهام » تحب أن تنفق على البيت وعلى المكتب وعلى إصلاح السيارة وعلى كل شىء . فهذا الإنفاق يهيىء لها أن تكون صاحبة الكلمة العليا ، وطالما أحست بالراحة والسعادة كلما فكرت أنها تزوجت هذا الزوج ، فلو كان غيره ما استقامت لها الحياة ، ولكن « حمدى » خلق خصيصًا ليكون زوجها . ولا يكون شيئًا آخر غير هذا الزوج .
و« سهام » تحب الناجحين من الرجال على أن يكون هؤلاء الناجحون ناسًا آخرين غير زوجها . فهى تعلم عن ثقة أن الرجل الناجح يجب أن

يشعر بكيانه فى بيته . . . ويجب أن يقول رأياً وأن تستمع زوجته لهذا الرأى ، بل الأدهى من ذلك أن تطيع الزوجة رأيه هذا ، فلو أنها تزوجت « درى » بدلا من حمدى لما استمر الزواج أكثر من أيام ولا تكتمل شهرًا على أى حال .

يستطيع درى أن يكون حبيبا ولكن يجب ألا يكون زوجها .

« درى » طبيب عظام من أشهر أطباء العظام ، وهى تعرف أنه يجب أن يكون سعيدًا فى بيته غاية السعادة . فهى تعرف زوجته وكثيرًا ما روت لها عن عاداته فى البيت ، وكيف أصبح البيت جميعه ولا عمل له إلا إرضاءه ، وإتاحة الهدوء والراحة له فى الساعات التى يقضيها فى البيت .

عرفته « سهام » يوم التوت قدمها وهى تخرج من البانيو ، ومن ذلك اليوم توطدت الصداقة بينهما ، وقد أحبت هى أن تكون هذه الصداقة أسرية ، فما أن شفيت حتى دعته هو وزوجته إلى بيتها ولبى الدعوة ، واستطاعت « سهام » أن توطد صداقتها « بناهد » زوجته وأحبتها « ناهد » حتى لقد كانت تلقى إليها بخفايا نفسها وما يجيش فى صدرها من وساوس .

ولم تدهش « سهام » كثيرًا حين دعاها « درى » يومًا إلى أن تخرج معه منفردين ، ولم تدهش كذلك حين أخبرها أن لديه شقة صغيرة يجب أن يخلو فيها إلى نفسه .

والعجب أن « درى » أيضًا لم يدهش حين قالت له « سهام » قبل أن تخرج من الشقة .

– أين مفتاح هذه الشقة ؟

– هذا هو .

– أمعك مفتاح آخر ؟

– لا داعى لمفتاح آخر ؟

– هل هناك مفتاح آخر لهذه الشقة مع أحد ؟

– أبدًا .

– هل أنت واثق ؟

– إنى واثق تمام الثقة .

– فأنت إذن ستعطينى هذا المفتاح ولن تفتح هذه الشقة لغيرى ؟ !

– هذا أمر .

– تستطيع أن ترفض .

– بل لا أستطيع أن أرفض . . هذا هو المفتاح .

– قد آتى هنا من حين لآخر من غير علمك لأرتب الشقة ، ولأشترى ما تحتاج إليه فاحذر أن تكون أعطيت المفتاح لغيرى .

– لا تخافى .

– عليك أنت أن تخاف . . فإنك ستجد قتيلة فى شقة مستأجرة باسمك .

– أنا أقدر هذا . . ولن يأتى أحد إلى هذه الشقة مطلقاً .

– اتفقنا .

ولهذا بدأت علاقتهما . وكان عجيباً أن تحاول « سهام » أن تتوطد مع الأيام صلتها مع ناهد أكثر وأكثر . وقد يبدو للنظرة المجردة الساذجة أن « ناهد » لن تخبرها أن هناك صلة فى الخفاء بينها وبين أحد ، ولكن « ناهد » بذكاء خارق أخبرتها أنها تعرف شخصًا آخر غير زوجها ، فإن « ناهد » لن تتصور أن هذا الشخص الآخر هو زوجها ، ولم تكن « سهام » تريد أن تظن بها « ناهد » الغفلة لدرجة أنها ترضى بزوجها هذا الذى يدل منظره على الغباء الشديد ، فهى تحب أن تظهرها على ذكائها وعلى معرفتها بسخافة زوجها وتحب أيضًا أن تعرف منها « ناهد » أنها مثار إغراء للرجال وأن جمالها ليس عاطلا عن اجتذاب من يقدره ويعرف قيمته .

فلم يكن خافيًا أن زوجها يقدر غناها الشديد وانفاقها على البيت . أما الجمال فلم يكن عنده بالأمر الخطير الذى يقيم حياة .

وكثرت زيارات « ناهد » إلى « سهام » . وكان « درى » كثيرًا ما يمر على زوجته عند « سهام » وكثيراً ما يقضيان السهرة هناك . وكان « حمدى » سعيداً بهذه الصداقة الجديدة التى ظن أنها قامت بين « درى » وبينه . وكثيراً ما كان يلح على ابنه « أسامة » وابنته « فريدة » أن يقضيا السهرة فى البيت لأن عمهما « درى » سيكون موجودًا .

ولم يكن « أسامة » أو « فريدة » يهمها من أمر أبيهما شىء ، فقد كان عندهما مجرد سميترية لأمهما . . ما دام هناك أم فلابد أن يكون هناك أب . . هذا كل ما فى الأمر . . فأبوهما هو مجرد التكملة الطبيعية أو غير الطبيعية لأمهما .

وهكذا كان يستهينان برأيه ، فقد كان أسامة فى السابعة عشرة حين كانت فريدة فى الخامسة عشرة . وفى هذه السن كان من المفروض ألا يعرفا لأبيهما غير الإحترام . ولكن الاحترام شىء هلامى لا شكل له ولا صورة ولا قوام ، والشخص إما أن يكون محترمًا أولا يكون . بهبه من الطبيعة لا يعرف مأتاها إلا الخالق العظيم الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وصاحب هذه الموهبة يفرضها على جميع من يتصل به دون أن يقوم هو بأى عمل ، إنما يجد نفسه محترمًا ويجد الناس أنفسهم يحترمونه . ومثل كل موهبة لابد للشخص أن يعين ما وهب له .

وهو يجد نفسه كذلك دون أن يدرى ، فهو يترفع عن الصغار ويختار الحديث قبل أن يلقيه ، ولا يقف موقفاً مزريًا أمام نفسه أو أمام الآخرين . والاحترام نوع من الموهبة التى تتوزع بين الناس بقدر ، فمنهم من نال منها قسطاً ومنهم من لم يكن له حظ منها . وهكذا لم يكن « أسامة » أو « فريدة » يحترمان أباهما . . وربما كان خدم البيت هم الذين ألقوا هذا النوع من عدم الاحترام إلى نفس السيدين الصغيرين .

وربما اضطر الشابان اضطرارًا إلى عدم الاحترام وهذا ، وهما يريان أباهما يتلقى أوامره دائمًا من أمهما ، فى حين أن كثيرًا ما يناقش الخدم هذه الأوامر .

وربما كان السبب فى عدم احترامهما لأبيهما واحدًا من هذه الأسباب أو كانت هذه الأسباب مجتمعة . ولكن الأمر الذى لا شك فيه أنهما لم يحملا له احترامًا منذ فجر حياتهما .

وهكذا كان كل منهما لا يجد فى أمر أبيه له بالبقاء مع عمهما « درى » شيئًا واجب الطاعة ، بل لعلهما كانا يريان فيه شيئًا واجب العصيان .

أما مع أمهما فإن الأمر يختلف . فقد كانا فى هذه السن الباكرة يجدان فى أوامر أمهما جنوحًا إلى التحكم ولكنهما لم يدركا هذا المعنى يومئذاك ، وإنما كل ما كانا يدركانه أنهما لا يجدان نفسيهما مثل زملائهما من الصبيان والبنات .

فبينما كان الأبناء يخرجون إلى الشارع يلعبون كانا هما حبيسين فى البيت لا يخرجان إلا مع دادة . كانت الأم تحرص على أن تزينهما كما تزين منضدة عندها .

كانت تحرص على زينة « أسامة » و« فريدة » فلا يلبسان إلا أغلى الثياب وأعلاها سعرًا ، فقد كانت تحب أن ترى غناها فى ملابس

طفليها . وكانت تحدد الساعة التى يتنزهان فيها مع الدادة بحيث لا يتأخران عنها دقيقة واحدة .

حتى إذا كان الليل لم تكن تلقى عليهما غطاء سميكًا فى الشتاء كما تفعل كل الأمهات . وإنما كانت تدخلهما فى شوال من البطاطين وتربط الشوال عند رقبة كل منهما وذراعا كل منهما فى داخل الشوال .

كان هذا الشوال يمثل تمامًا أخلاق « سهام » فقد كانت تحب أن تسيطر على كل حركة من ولديها أو زوجها . وقد استطاع الشوال أن يمكنها من هذا مع إبنها وابنتها ولو كان قريبًا من المعقول أن تضع زوجها فى شوال ما توانت ، ولكن خشيت أن يسخر منها الآخرون . أما زوجها فما كان ليعارض لو أنها أرادت به هذا .

ولم تكن « سهام » لتهتم أن يكون إبنها وبنتها حاضرين مع « درى » أو لا يكونا . ولذلك فقد كانا ينصرفان إلى حجرتيهما ويصنعان أى شئ إلا أن يذاكرا .

لكن سهام لاحظت أن أختها « إلهام » كثيرًا ما تكون حاضرة عندما يأتى إليها « درى » .

« وإلهام » هذه فقدت زوجها منذ سنتين . وكان هذا الفقدان فجيعة للأسرة جميعًا . فقد كانت حياة « إلهام » و « توفيق » زوجها الراحل مضرب الأمثال فى السعادة والهناء والحب . وعلى الرغم من أن

« إلهام » كانت عاقراً لم تهب له البنين فى السنوات الخمس التى عاشاها معاً فإنه كان يحبها حب تقديس . كما كانت هى لا ترى السعادة إلا فى عينيه الصافيتين .

وكانت « إلهام » حين مات عنها زوجها قد تركت الثلاثين من عمرها بسنوات قلائل . وقد كانت تكبر « سهام » بسنتين . إلا أن السن فى هذه الفترة المبكرة من الشباب لا يظهر لها أثر . « فإلهام » ناضرة كوردة قوية أو كشجرة ليس من طبيعتها أن تثمر . ضاحكة الوجه حتى وإن حاولت أن تبدو حزينة . بيضاء فى حمرة من الجمال والصحة معاً . دقيقة الجسم فارعة الطول جذابة النظرة . ذات عينين سوداوين . سواداً شديداً . وبياضها أشد بياضاً . فكأنها العيون التى كان شعراء العرب يقولون عنها إن فى طرفها حوراً . وكان شعرها أسود فاحماً منسدلاً فى إنسياب ورزانة عند كتفيها . ومن يرى « إلهام » إلى جانب « سهام » لا يعتقد بحال أنهما أختان . فقد كانت « سهام » ذات شعر عربيد ثائر فى غير شرود . وكان بياضها ناصعاً . وكانت عيناها خضراوين فيهما أصرار ، وفيهما فرح . وفيهما رغبة ، وفيهما تخاضع . اختلطت هذه الإشعاعات جميعاً ، ولكنها عندما تريد ينبعث الشعاع الذى تريد بما قدرت له أن يكون نافذاً حيث ينبغى أن ينفذ مؤدياً ماشاءت أن يؤدى .

كانت « إلهام » كثيراً ما تزور « سهام » ولم تكن « سهام » ترى فى

ذلك عجباً . وأى عجب يمكن أن يكون ، فهما أختان بينهما مثل ما بين كل الأخوات من حب شابه فى حين من الأحيان خلافات حول ميراثهما من أبيهما ، ولكن قليلاً ما استمرت هذه الخلافات . فالأب كان يعلم أن ابنتيه لن يرثا كل ما له إذا هو ترك المال يورث ، فوزع عماراته على بناته بيعاً وشراء بطريقة غاية فى الذكاء حتى لا يدعى أحد على العقود صوريه ، وغاية فى العدل بحيث لا تشعر واحدة من البنتين أنها غبنت ، ولم يكن الخلاف إلا حول أشياء قليلة تركها فى الخزانة . وحسمت الأم هذه الخلافات بأوامر لها صارمة لا تناقش ، وعاد الحب الطبيعى يجمع بين الأختين .

وكانت « إلهام » تعيش مع أمها بعد أن مات عنها زوجها . فكان من الطبيعى أن تذهب كثيراً لزيارة أختها . وما لها لا تفعل والسيارة تحت قدمها .

ولكن « سهام » مع ذلك لم تقتنع بالمصادفات العجيبة التى جعلت « إلهام » تكون موجودة كلما كان « درى » و « ناهد » موجودين .

هذه لعبتنا ياست . . . أم تراك أنت الأخرى تلعبينها .

ولقد راقبت « سهام » أختها رقابة شديدة ، فلم تلحظ عليها شيئاً . ولا على « درى » لاحظت شيئاً . ولكن لا . . . على من ! هذا التحفظ كله يخفى ما يدعو إلى الشك .

ولكن كيف يجرؤ على هذا التفكير . . . إنه حب جديد . . . ألا يغنيه حُبي ، حتى يبحث عن حب آخر ! ! ويله ! ! إن « إلهام » أرمل . . إذن فقد يكون فى الأمر زواج . . أقتله فقد يشكو لى من « ناهد » وأنها لا تفهمه ، ولكنها أيضاً كانت لا تسأله عن شئ فى حياته خارج البيت . . وبقدر ما كان سعيداً لهذا بقدر ما كان يرى فيه غباء منها يضيفه إلى غباوات أخرى كثيرةتبدو منها .

فالطاعة العمياء من الزوجة غباء عند الزوج . ملاعين هؤلاء الرجال لا يحبون أن يعارضهم أحد . ولا أن يناقشهم أحد . فإذا وجدوا المرأة التى لا تعارضهم ولا تناقشهم فهى غبية . وإن عارضت أو ناقشت فهى امرأة متعبة تملأ حياتهم تنغيصاً . وتجعل البيت الذى ينبغى أن يكون مثابة للراحة والإسترخاء . نيابة عامة أو مجلساً نيابياً .

كانت لا تعجبه « ناهد » ، ويل له إذن من « إلهام » . المهم أن أعرف هل صحيح ما أفكر فيه ؟ ! أكاد أقطع بأنه صحيح . فإن كان ؟ أهو استلطاف أم حب أو زواج ؟ الزواج هو أهون الشرور . فمن حقه مادام قد وجد من تمتع عواطفه أن يبحث عمن تمتع بيته . ولكن هناك شرط . . . ألا يكون الزواج على حب ! ليس من المحتم أن يكون الزواج على حب . بل إن الأفضل أن يكون الزواج عن غير حب . . . فهذا زواجى مع « حمدى » قد توجد فيه كل العواطف إلا الحب . . يحب أولاده على الرغم من أنهم لا يحترمونه ، ولكنه يحبهم حب

جنون ، فهو يشعر أنهما يقويان الصلة بينى وبينه . وهكذا يستطيع أن يأمن بقاء الحياة بيننا . فهو واثق أننى لا أحبه برغم أننى الوحيدة التى أبدى احترامى له فى البيت . ولا أقول عنه إلا البيه إذا تحدثت عنه . . . قد يثيرنى أحياناً بغبائه فأضطر إلى إسكاته حتى يتكتم ، وقد أضطر أحياناً أخرى أن أعطيه بعض النقود أمام الخدم . ولكننى مع ذلك الوحيدة التى تحترمه فى البيت .

مهما يكن الأمر فزواجى من « حمدى » زواج ناجح ، وربما هو ناجح لأنه لا صلة له بالحب . . كل منا لا يطالب الآخر بالحب . ربما طالبت أنا ببعض أشياء تعبر عن الحب . كالاحتفال بعيد ميلادى أو الاهتمام بطلباتى ، ولكننى لا أطلب ذلك من باعث الحب عند « حمدى » . وإنما أطلبه فى مقابل ما أقدم له من مال . فأنا من حقى – لا شك – فى مقابل هذا المال الذى أنفقه عليه وعلى البيت وعلى الأولاد أن أطالب ببعض اهتمام ، أو ربما حتى بكثير من الاهتمام . . . هذا حقى . .

على أية حال بيتى ثابت غير متعرض لأية أعاصير . « فحمدى » لا يعرف كيف يغضب مهما أفعل أنا . وأنا إن غضبت يعرف كيف يكست ، ودائماً تمر الأمور ويظل بيتنا ثابتاً . لأنه لو قام على الحب لكان نهباً للأعاصير . فإن المحبين يطلبون الكثير ولا ينالون إلا القليل . فويل إذن « لدرى » إن فكر فى الزواج عن حب .

أما إذا كان زواجاً لمجرد الزواج فالمصيبة أهون . إلا أنه حينئذ سيقع سجيناً « لإخام » من العسير أن يفلت منها . ولكنه طبيب ما يزال . أما إفلاته فأمر يمكن تدبيره . ولكن لابد أن أعرف . . . لابد أن أعرف .

– أليس هذا شيئاً غريباً ؟

– أبداً .

– في كل مرة ! !

– مصادفة .

– « دري » .

– نعم .

– فتح عينيك .

– على الآخر .

– من التي أمامك ؟ .

– المؤكد ليست « ناهد » .

– إذن اعتدل .

– معدول والله !

– مصادفة ؟

– مصادفة .

– « دري » .

– ماذا تظنين ؟

– لا شأن لك بما أظن أريد الحقيقة .

– أنت تعرفين صداقتها « بناهد » .

– « دري » .

– أفندم .

– أنت تعرف أن صداقة« ناهد » هذه لعبتى أنا .

– فما الغرابة أن تكون لعبة أختك .

– إذا فهناك لعبة .

– على كل حال ليس من جهتى .

– لا تهمنى الجهة .

– وعلى كل لست أنا الذى علمتها اللعبة .

– ولا يهمنى ممن تعلمتها .

– قولى ماذا تريدين ؟

– هل هناك شيء .

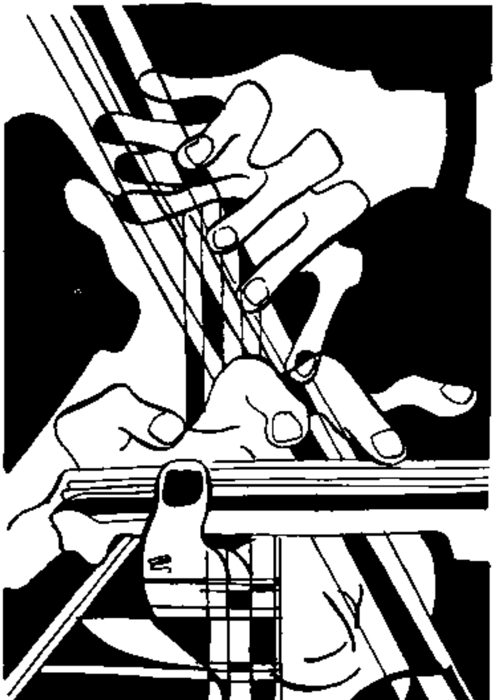
– وافرضى .

– أقتلك .

– ألا تعرفين أولا .

– طبعاً زواج .

– مثلا .



- أقتلك .

- وماذا يهمك .

- كيف لا يهمني .

- أليست أختك أولى من « ناهد » .

- زواج حب طبعاً .

- وهل يترك حبك مكاناً لحب آخر .

- عليّ أنا هذا الكلام .

- وحياة بنتي الوحيدة إن هذا الزواج لا صنف له مطلقاً نجينا .

- فما أسبابه .

- أريد زوجة تعرف كيف ترتب بيتها تعرف كيف تجعل الرجل يحيا أنا أراك مرة في الأسبوع أو مرتين . . الأسبوع كله مع زوجة لا تفهم شيئاً لماذا لا أعيش مثل كل الأطباء الذين نجحوا كما نجحت . . لماذا أكون وحدي مع زوجة لا تفهم شيئاً .

- من أجل هذا فقط !

- فقط .

- من أين عرف .

– ذكاؤك بذلك .

والتقيا فى قبلة .

° ° °

– كيف تزوجت «ناهد» ؟

– كأى زواج .

– سمعنا غير ذلك .

– أبداً .

– «درى» ؟

– أبدا والله .

– ربما . . . هل رأيتها جميلة ؟

– حين تزوجتها لم أكن أراها قبيحة .

– على كل حال هى عادية لا جميلة ولا قبيحة .

– الشباب فى أول حياته لا يفرق كثيراً بين أحجام الجمال .

– ولماذا كرهتها ؟

– لم تستطع أن تجعلنى أحبها .

– وكيف تستطيع امرأة أن تجعلك تحبها ؟

- أنت تعرفين ذلك جيداً . .

- لو كنت زوجي لما أحببتني .

- أنت كما أحب المرأة أن تكون . .

- كلام .

- أتريدين مزيداً من كلمات الحب ؟

- لا تضر .

- ولا تنفع . . أنت تعرفين ماذا أنت عندى .

- هل أنت واثق ؟

- أنت واثقة .

- نعم . . . . أعتقد ذلك .

* * *

وكانت بواكير الصيف قد أقبلت وسارعت « سهام » بالسفر إلى الإسكندرية حتى لا ترى كيف يتقرب « درى » « لإلهام » . . . وكانت تأمل أن يتم الزواج دون استدعاء لها متصور بأن زواج أرملة من رجل مطلق لا يحتاج إلى احتفال . وحاولت أن تنسى أن « إلهام » تحب كل شيء لها أن يكون على أتم رواء ، وحاولت أن تنسى أيضاً أن « إلهام » لا تحب أن تتركهم يستمتعون بوقتهم .

وهكذا أعاد استدعاؤها إلى القاهرة كل ما حاولت أن تنساه . قالت لها أمها :

- أختك ستزوج بعد غد .

ولم تسألها عن الزوج وتعجبت الأم ولكنها لم تقل شيئاً « إلهام » . وحين طلبت « سهام » أن تكلم أختها لم تجدها فحمدت الله فى سرها وانتهت المكالمة بين عجب من الأم وغيظ من الأبنة .

وها هى ذى تقطع الطريق مع « حمدى » إلى القاهرة فى سيارتها الجديدة التى اشترتها له وأبقت رخصتها باسمها . . تاركه « أسامة » و « فريدة » مع « توحيدة » الدادة ليكونا عذرها فى عود سريع .

- ٢ -

أهو انتقام ما أفعل . . . هل لم تستطع كل هذه السنين أن تمحو من نفسي ذلك اليوم . . ألم تستطع « عبير » أن تنسيني ذلك اليوم . . ألم تستطع هي نفسها « ناهد » أن تنسيني ذلك اليوم . . . أعزيزة هي الحرية إلى هذا الحد . إن لم تتح لى الحرية فى اختيار زوجتى فقيم إذن . . بل إننى أريد الحرية فى كل شيء . . . أحمد الله أننى لست كاتبًا . . . فالكاتب – فيما أعتقد – كثيرًا ما يرغم على ابتلاع كلام كثير يريد أن يقوله . كيف يستطيع كتّاب روسيا أن يسموا أنفسهم كتاباً ! ! إنهم آلات كاتبة يدق عليها أعضاء الحزب . . . بل يدق عليها سكرتير الحزب وحده بدعوى كاذبة أن هذه إرادة الحزب أو إرادة الشعب كما يحبون دائماً أن يقولوا . . . ما هذا الخوف . . . ما دخل روسيا والحزب وكتّاب روسيا فيما أفكر فيه . . . عجيب هذا العقل يشرد برغم أنف صاحبه ويذهب إلى مذاهب عجيبة من التفكير بلا رقيب أو حسيب . قرأت مرة فى رواية ترسم المستقبل أن هناك آلة سيكون من شأنها معرفة ما يفكر فيه العقل . ويقول المؤلف إن الدولة ستعتمد على هذه الآلة فى محاسبة النّاس على أفكارهم . أعوذ بالله . . . إن الله لا يحاسب الناس على أفكارهم . . عجيبة أن يذكر الناس الله فى هذه المواضع . لقد نسوا أن الله رحمة . ولو أن الدول حاسبت الناس كما يحاسبهم الله

لأصبح البشر فى سعادة لا تماثلها سعادة . ولأصبح الذهاب إلى الجنة لا داعى له .

وهل هناك داع للذهاب إلى الجنة . . . . لابد أننا فى كل ما نفعل نحاول أن نهيئ لأنفسنا جنة على الأرض . ونخفق طبعاً لأننا بشر . . . الجنة هل هي حور عين وأنهر من عسل . . . إنها صفات حسية ذكرت لقوم كان الحس عندهم مجسماً دائماً فى الجنس والمأكل . . أما الجنة عندى فهى السعادة . . قد لا نأكل هنالك شيئاً وقد لا نجد حورًا عينًا أو غير عين . ولكننا لاشك سنجد السعادة . . سنعيشها . نعرفها مشرقة دائمًا فى نفوسنا لا ومضة وتختفى . أو لحظة وتزول . وإنما نعرفها بلا نهاية . . . ولا يصيبنا الملل . . . . وهل مع السعادة ملل ؟ ! إن الذى خلق الإنسان وصنع النفس والروح وشكلها كما يشاء . لا يصعب عليه أن يمحق الملل من الحياة الأخرى . ومن أين يأتى الملل . . إننا إن لم نصنع شيئاً إلا الالتقاء بالعباقرة الذين سبقونا ليقصوا علينا قصصهم الصغيرة والكبيرة . ومشاعرهم دون نفاق للمجتمع أو خوف من الناس . لا ندحر الملل عنّا ولذهب إلى غير رجعة وإلى الأبد . . أهناك أبد ! ! إن الآخرة هي الأبد . كأنى نسيت أن هناك ناراً أيضاً لا بد أن نمر بها من باب العلم بالشيء . .

اسمع . . . أنا طبيب . . . ولا بد أن أعرف ما الذى جعلنى فكر فى الجنة والنار الآن . . .

هل أنا مخطئ فيما اتخذت من قرار ؟

زوجتى وابنتى أتركهما . . . من أجل ماذا ؟

هل أحب « إلهام » ؟

المؤكد أنها لم ترغمنى على الزواج بها . إن الذى فعلته بى « ناهد » لا أستطيع أن أقبله . حتى وإن كانت قد جاءت لى « بعبير » . وحتى لو كان قد مضى على زواجنا عشر سنوات .

أهذا هو السبب الحقيقى فى زواجك اليوم ؟ أتريد أن تقنع نفسك بهذا ؟ . إنه السبب . إنه السبب كتمته وبالغت فى كتمانه . لأننى لا أحب أن يقال عن « عبير » إن أمها كانت تستقبل أباها فى حجرة نومها قبل الزواج . . إن « عبير » هى كل شىء لى . . أتترك أمها . . . يستطيع أى رجل أن يختلف مع زوجته . ولكن ليس من حق أى أم أن تستقبل رجلا فى حجرتها قبل الزواج منه . وقد شاعت هذه القصة فى هذه الأيام . ولو أننى طلقتها بعد سنة أو اثنتين . أو حتى بعد خمس سنوات لعادت القصة إلى الظهور مرة أخرى كأعنف ما يكون الظهور . ! إن « سهام » لم تعفنى من ذكر هذه القصة وهى تجرى معى تحقيقها حول الزواج . فالقصة شاعت وعرفها الجميع . . . فى البيت خدم . والخدم يحبون أن يعرفوا كل شىء . وأى شىء أروع فى الحكاية من أب وأم يدخلان إلى حجرة ابنتهما ليجدا بها الدكتور « درى » والساعة تقترب من الفجر .

الحكاية شاعت . وسمعت يومذاك فيما سمعت أن الأمر كان مدبراً بين « ناهد » وأبويها . . . وأننى أرجح هذا . . . أرجحه .

– لابد أشوفك الليلة .

– لماذا الليلة ؟

– ولمَ لا ؟

– هل هناك مناسبة خاصة ؟

– اشتقت إليك .

– أنا تعبان الليلة « ياناهد » .

– حتى وإن كنت اشتقت لك .

[موعد عجيب للاشتياق] .

– عندى عملية .

– تعال بعدها .

– وموعد على العشاء .

– اعتذر .

– لا أستطيع .

– تعال بعد العشاء .

– سنذهب إلى المسرح .

– اعتذر .

– لا يمكن .

– تعال بعد المسرح .
– سأكون متعباً جدًّا .
– أراك لحظة وامش .

أليس هذا شيئاً عجيباً . . وفعلا ما هى إلا لحظة حتى أطبق عليها أبواها . . . وتم الزواج فى الحال . وكان الإسراع بالزواج تأييدًا لما نقله الخدم إلى الناس عما حدث . ولكن الوالدين و« ناهد » لم يكن يهمهم إلا أن يتم الزواج .

: تصف نفسى منذ ذلك اليوم ولكن « عبير » جاءت . . . وجاءت مسرعة وكأنها كانت مشتركة فى المؤامره مع أمها وجديها .

وسكت .

ومرت السنون .

وكبرت « عبير » .

ألا يجدر بى أن أعيش مع سيدة أحترمها على الأقل ! ! كيف أستطيع أن أكمل حياتى مع سيدة اغتصبت حياتى معها وأرغمتنى عليها ارغاماً ؟ !

ليس الحب ما أبحث عنه . وانما الاحترام . . والاطمئنان لبيتى . كيف أستطيع أن أطمئن على بيتى والسيدة التى فيه دبرت زواجى منها كما تدبر المؤامرات !

ألا أخشى إذا تركت البيت ولم تجد الرقيب أن ترتكب من الأفعال ما يسىء إلى سمعة ابنتى . .

لقد فكرت فى هذا أيضاً . . . وأغلب الأمر أنها لن تفعل . إنها خبيرة فى المؤامرات . وستحاول أن تبدو أمام « عبير » مجنيًا عليها بغير سبب .

ألا أخشى أن تكرهنى « عبير » ؟

إنها تعبدنى .

وأنا أعبدها ولا أستطيع أن أقول لها عن أمها شيئاً . . ستغضب « عبير » ولكنها ستصفح . ستظن وسأجعلها تظن أننى أحببت « إلهام » . والحب عند من فى سنها هذه شىء مقدس . وستحاول أن تبدو وكأنها فهمت كل شىء ، وأنها تقدر مشاعرى وستصفح . لأنها تريد أن تصفح . عجيب شأن الناس وتفكيرهم . أخلاط من المشاعر والآراء تلتقى بلا معنى ، وتفترق بلا مبرر . ولكن مع كل هذا ما الذى جعلنى أفكر فى الروس ، والحرية والجنة والنار أيضاً ؟ ! ما دخل هذا جميعه « بناهد » أو « إلهام » أو « عبير » أو أنا . . . أنا لا أدرى .

* * *

- ٣ -

هل أحبه حقًا ؟ ! المؤكد أننى أحب حبه لى . . إن هذا الجمال الذى أراه فى المرآة أعظم من أى حب . وإنما يجب فقط أن يستقبل حب الناس . كان « توفيق » بارعاً فى حبه لى . وقد أحببت حبه هذا لى وفتنت به . وظن الناس أننى أحبه هو . كم هم مجانين . هؤلاء الناس كيف يتصورون أن هذا الجمال يستطيع أن يحب . إن جمالى خلق ليحبه الناس فقط . وحسب « توفيق » أننى أعطيه حقوق الزوج . ويكون مجنوناً كل من يفكر أن ينال جسمى وقلبى أيضاً . وحين وهبت « لتوفيق » هذا الجسم كان هناك شرط واحد وضعته لنفسى . ولم أخبر به أحدًا وأنا وحدى الذى أستطيع أن أحافظ على تنفيذه دون عون من أحد .

لقد وهبت جسمى « لتوفيق » على ألا يفسد جماله . ولهذا رفضت أن أحمل أطفالا رفضاً باتًا . ولم يعلم توفيق برفضى هذا حتى لا يناقشنى فيه . فهو أمر لا أفكر فى مناقشته على الإطلاق .

مسكين « توفيق » كان كل شهر يمر بى على أطباء أمراض النساء . وكان الأطباء جميعاً يقولون ليس هناك ما يمنع الحمل . ولم يكن أحد منهم يتصور أننى أنا التى أمنع الحمل وليس غيرى .

وفى يوم لا أنساه لم أتخذ ما أتخذه من الاحتياط . وعلمت أننى

حامل . وأوشك « توفيق » أن يعرف . فقد كان يحسب المواعيد كسيدة . وداعبه الأمل يومًا بعد يوم . وكنت أنا قد سارعت فى خفيه منه إلى الطبيب وتخلصت من الطفل . ومات « توفيق » المسكين وهو لا يعلم عن هذه الواقعة شيئاً . كيف أطيق أن أعبئ طفلا داخل بطنى الضامر هذا ثم أرضعه أيضاً ؟ هيهات ! ! . كيف يتجرأ الطفل أن يدمر جمالى هذا . . إنه هبه من الله على أن أجعلها معبداً للحب ثم لا شىء آخر . لست أننى كجميع النساء . إننى نوع من الجمال يحبو به الله البشرية حيناً بعد حين .

أعتقد أن « درى » لا يهمه أن ينجب أطفالا . وما حاجته إلى أكثر من « عبير » وإن كان يريد فليأت بهم من غيرى . أى واحدة غيرى . . أيجروء أن ينظر إلى غيرى وهو زوجى . إن زوجى يجب أن يكون وظيفته زوجى فقط . هكذا كان « توفيق » . وهكذا لا بد أن يكون « درى » .

ولكن « درى » طبيب مشهور . وما شأنى أنا . ولكن لا بأس أن أكون زوجة مشهور . فالشهرة مع الجمال أمر لا بأس به فى حد ذاته . ولو أنى ضيقت عليه المسالك أغلب الأمر أنه سيفقد الشهرة . مجانين هؤلاء الناس . ألا يكفى أن يكون « درى » زوجى حتى يذهب إليه جميع الناس . ألا بد أن يكون ماهرًا أيضاً فى عمله . ودقيقاً فى عملياته . ومحافظاً على مواعيده .



ولكن من ناحية أخرى لا بأس بهذه الشهرة . فهى ترغم الرجل أن يكون عفيفاً مع النساء . فلا يتبذل حتى لا تسوء سمعته .

إن صلته « بسهام » لا تعجبنى . إن « سهام » لا يمنعها شىء فى سبيل أن تثبت لنفسها أنها فى مثل جمالى . مسكينة « سهام » . لقد أفسدت عليها حياتها .

وأنا ماذا بيدى أن أصنع هكذا خلقت بهذا الجمال . وما كان من الممكن أن تُخلق اثنتان فى مثل جمالى . حتى وإن كانت الثانية هى أختى الشقيقة .

إن كان بين « درى » و« سهام » شىء فلابد أن ينقطع . وسوف أمنعه أن يذهب . لابد أن أمنعه . فإننى واثقة أننى لابد أن أمنعه . فأنا أعرف « سهام » . وليس بعيداً أن يكون بينها وبين « درى » شىء ما . بل لابد أن هناك شيئاً . « فحمدى » لا يصلح صديقاً « لدرى » . بل لا يصلح صديقاً لأحد أبدًا . و« ناهد » لا تصلح صديقة « لسهام » . فأنا أعرف النوع الذى تحب « سهام » أن تصادقه . وليست « ناهد » من هذا النوع . الصداقة الوحيدة – وهى ليست صداقة – التى يمكن أن تقوم هى تلك التى تربط « درى » « بسهام » . وإن لم تكن علاقة قد قامت فلا شك أن « سهام » ستقيمها بعد أن يتزوجنى درى فأنا التى أنغص عليها بجمالى حياتها وعدم زيارة درى كفيلة أن تقطع العلاقة إن كانت قامت أو تمنع قيامها إن حاولت « سهام » أن تقيمها .

ولكن من يدريني ؟ ربما اتصل بها عن غير طريق الزيارة ! ! أيكون عنده كل هذا الجمال وينظر لغيري . ثم يخلق بعد الرجل الذى يتزوج مثلي - إن كان لى مثل - وينظر إلى غيرى . لا لم يوجد .

كانت وحدها فى الغرفة . وكانت بسبيلها إلى الخروج لتشترى الأثاث الجديد لبيت الزوجية . فقد أصرت ألا تقيم فى بيت كان فيه مع زوجة أخرى . فهى لم تكتف أن يطلق « ناهد » . وإنما أرادته أن يطلق حياته السابقة جميعاً . وكانت أحبت « عبير » . ولم تر بأسا أن تظل معه إذا أراد ذلك . وقد رأت فيها وسيلة تجعله لا يفكر فى إنجاب أطفال آخرين .

واشترى « درى » فيلا جديدة ليقيم فيها ويترك شقته لزوجته . ولم يقل شيئاً لهذه أو لتلك . وإنما ترك البيت فى موعده العادى الذى يتركه فيه كل يوم . وبعد ساعة كانت ورقة الطلاق فى يد « ناهد » . وجن بها الجنون . ولم تجد أحدًا تحادثه . وحاولت أن تتصل « بسهام » فوجدتها فى الإسكندرية . ثم اتصلت بصديقات غيرها . وما لبث الخبر أن أصبح قنبلة بين من يعرف الزوجين ومن لا يعرفهما .

وأقام « درى بفندق ميناهاوس . وذهبت إليه « عبير » . وقالت الطفلة المسكينة كلاماً كان واضحاً أنها لا تفهمه وإنما لُقنته تلقيناً .

- بابى هل طلقت مامى ؟
- لا شأن لك بهذا يا « عبير » .

- وأنا إلى أين أذهب ؟

- عند مامى وعندى .

- ولكن لماذا يا بابى ؟

- ستعرفين فى يوم ما يا ابنتى . . فى يوم ما ستعرفين .

- صحيح . . هل ستخبرنى ؟

- المؤكد أننى سأخبرك .

- أتحبنى يا بابى ؟

- هل تشكين فى هذا ؟

- لا . .

- فلماذا تسألين ؟

- لا أعرف أريد أن أسأل .

كان هذا هو السؤال الوحيد الذى صاغته « عبير » دون تلقين .

وسرعان ما كتب « درى » كتابه على « إلهام » . فكانت قنبلة ثانية . ثم انشغل الناس كل بخاصة شأنه . وفرغت « إلهام » لشراء الأثاث . وتهيأ « درى » لحياة جديدة .

* * *

- ٤ -

كان طبيعياً أن تزورها أمها . وكان طبيعيًّا أيضاً أن تأتى معها الدادة آمنة .

إنها لا تستطيع أن تنظر إليها . كانت آمنة هى آخر إنسان تحب أن تراه فى لحظتها النكدة هذه .

إنها هى صندوق أسرارها . وتعرف كل شىء منذ ذلك اليوم الذى التقت فيه « بدرى » .

وكانت حفلة فى بيت صديقتها « سعاد هانم شهدى » . . . وكانت هى تلبس فستانها الأسود اللامع وتحيط رقبتها بذلك العقد من اللؤلؤ الذى أهداه إليها أبوها خالد بك . وأحست أن هيئتها وملبسها والجو الذى تثيره حولها من الحيوية والاعتزاز بالجمال والأناقة قد بلغ من « درى » ما تشتهى المرأة أن تبلغه من الرجل .

وكان « درى » فى قوامه الطويل الذى يتناسب مع امتلائه بعض الشىء . ملتقى العيون والهمس . فحين تعلن « إلهام » اسمه يحيط به ذلك العبق الذى يحيط بالناجحين من الرجال .

* * *

كانت « ناهد » فى هذه الفترة من حياتها قد خرجت من موقعة

عاطفية خاسرة ، فهى تشعر أنها مهزومة ، وتبحث عن انتصار يعيد إليها نفسها وثقتها بكيانها : أنثى وامرأة .

لم يكن من الصعب أن يتعارفا . ولم يكن من الصعب أيضاً أن يتيح لهما البيت الكبير ركناً يخلو فيه كل منهما للآخر .

– أحس ألماً فى قدمى اليمنى .

– ليس مثل الألم الذى بقلبى .

– سلامتك .

– كيف لم أعرفك إلا اليوم ؟

– أتراك سريع التحرك فى عملياتك الطبية كسرعتك فى عملياتك العاطفية .

– إنه مجرد اندهاش .

– فقط ؟

– فقط .

– والألم فى قدمى .

– لا بد أن أفحصه .

– طبعاً .

– مكان الفحص هو العيادة .

– أعطنى موعداً .

– غداً الساعة السادسة .

– أتحب أن أدفع الفزيتة الآن ؟

– أظن أن معى ثمن البنزين الليلة .

– أخشى أن يدفع زبون آخر ويستولى على الموعد .

– لا تخافى الزبائن هنا لا يدفعون .

– هكذا أنت متأكد ؟

– خبرة طويلة ؟

– اتفقنا .

لم يكن عجيباً بعد ذلك أن تقوم الصلة بينهما . ولم يكن «لدرى» شقة . ولم تكن العلاقة بينهما تحتاج إلى ذلك فقد كانت لا تتعدى بعض قبلات متطايرة . وكان «درى» يحتاج إلى تظاهر بالتدله والوله ليحصل على هذه القبلات . . . وفى يوم فوجئ بها تطلبه بالتليفون على غير موعد . فوجد نفسه يقول

– أراك .

– كيف .

– أمر عليك بالسيارة وتنزلين .

– وماذا أقول لأبى وأمى ؟

– ليس من المحتم أن يعرفا .

– إن لم يعرفا هما فستعرف دادة آمنة لاشك .

– ألا تقبل دادة آمنة الرشوة ؟

- لم أجربها معها .
- مغفلة .
- لم أكن محتاجة فلا تقل أدبك .
- ولكنك الآن محتاجة .
- لا يمكن . إنها تتصور أننى ملاك طاهر .
- ألست كذلك ؟
- لو كنت ما طلبتك .
- حتى الطلب تعتبرينه شيئاً يستحق الكلام ؟
- أنت مجرم .
- مجرم خائب . . . آخر ما وصلت إليه قبلة .
- اسمع يا«درى» . القبلة التى تحصل عليها هى أقصى ما أستطيع أن أعطيه . .
- رضينا ياستى .
- ولو كلمتنى فى هذا الموضوع بعد ذلك سأكف عن طلبك .
- فى عرضك .
- فاهم ؟
- فاهم .
- لو وعدتنى وحلفت ألا تكلمنى فى هذا مرة أخرى سألتقى بك الليلة .
- الليلة ؟

- كيف ؟
- لا شأن لك . . . فقط احلف .
- أحلف .
- بماذا ؟
- بك .
- قديمة العب غيرها .
- بشرفى . .
- بشرفك ؟ !
- جديد وشرفك . . . إنه شرف دكتور يحترم نفسه .
- سأرى مقدار اعتزازك بشرفك .
- سأقابلك فى البيت .
- فى البيت ؟ !

وتم اللقاء . ولم ينل منها فى البيت أكثر من القبلة أيضاً . وتعود أن يذهب إلى هناك . وكانت آمنة تعرف دائماً . فلم تطق السكوت .

- وآخرتها .
- لاأعرف يادادة .
- أنا خائفة .
- أتخافين علىّ ؟
- من كلام الناس .
- لا تخاف .

– اسمعي لا بد أن تصنع شيئاً . .
– وماذا نصنع؟ .
– أنت لا تصنعين شيئاً . . أنا سأصنع .
وفي ليله وبينما هو معها يتحدثان . فوجئ بأبيها وأمها يدخلان إليهما ومن خلفهما آمنة .
وهم الوالد أن يبدأ المشاجرة المتفجرة . ولكنه كان أسرع منه :
– ياسعادة البك أنا أخطب منك ابنتك .
– تتزوجها الآن قبل أن تنزل .
– أمرك .
– أرسلي يا آمنة السائق يأتي بالمأذون . أو اذهبي أنت معه . ولا تعودي إلا ومعك مأذون .
– أمرك ياسعادة البك .
– وفي غد نعد لإقامة الفرح .
– أمرك .
ويتم الزواج على هذه الصورة . ومنذ ذلك اليوم وهو يحس أن هذا الزواج فرض عليه فرضاًكانت الحياة بينهما مستحيلة . . . هو زواج بكل معنى الزواج . إلا أنه فاقد للروح .

* * *

كان يجلس إلى جانبي وكنت أحسّ أن بيننا أزماناً وبلداناً . حتى

وهو يعانقني كنت أحس أنه يعانق غيري . وأحس أن ذراعيه ذراعا رجل آخر . كانت القبلة التي يقبلها لي قبل الزواج أشد حرارة من الصلة الزوجية وهي في قمتها .
لم أحس في لحظة أنه تزوجني فعلا . ولوأنه لم يذكرهذه الليلة مطلقاً . واعتبر ما حدث شيئاً طبيعياً كان من شأنه أن يحدث .
لم يكن عجيباً ألا تطيق «ناهد» النظر إلى الدادة آمنة فهي التي افتعلت هذا الزواج الذي ولد ميتاً والذي لم يكن الطلاق بالنسبة إليه إلا لتسجيل وفاة ودفن المتوفى . وإعلان ما كان سرًّا من شأن مماته .
ولم يكن عجيبا أيضاً أن يبحث «دري» عن شقة خاصة منذ اليوم التالي لهذا الزواج . فلم يكن «دري» يحب أن يتكرر هذا المشهد الذي ألف وأخرج ومثل في بيت «ناهد» . إن تغيير خشبة المسرح في مثل هذه المشاهد هام جداً . وكان لا بد له من شقة وقد استأجرها . فقد كان على ثقة أن زواجه من «ناهد» لا يمكن أن يستمر . فقد أحس منذ اللحظة الأولى أنه لم يختر زوجته بمحض حريته . وربما كان يخطبها إذا لم تفرض عليه . أما وقد فرضت . . فلازواج . . إنما هو عقد .
أكان يتزوجها حقًّا بعد أن سمحت له بالذهاب إلى بيتها . نعم لم ينل منها إلا القبلة ولكن هذه الجرأة ؟ . على كل حال ربما كان يتزوجها . . وربما كان الزواج كاملا وباختياره أما بهذه الطريقة التي تم بها فهو عقد قابل للفسخ . شأنه شأن أي عقد تجاري . . عقد بلا اختيار . . بلا حب . . بلا عاطفة . . . فهو بلا بقاء .

إنها تحب أن تأمر وأنا لا أجد من آمره . أنا لا أعمل شيئًا إلا أن أطيع . حتى البنت سعاد لا تطيعنى . . . ولماذا تطيعنى وهى تعلم أننى أشتهيها وأشتهى خدرها وأعطيها ما تشاء من المال لتسمح لى أن أشاركها فى الفراش .

قد يبدو غريبًا أنه فكر فى سعاد . فهو يخاف « سهام » كما لا يخاف أحدًا أو شيئاً . « فسهام » هى زوجته وربة بيته . وأم أولاده . وقبل هذا جميعاً هى مصدر رزقه وحياته وأمله .

هو لا يعرف كيف قبلته « سهام » زوجًا . ولو كان عرف ما تغير الأمر كثيراً . وهو على كل حال انتهى فى ذلك إلى رأى . إن « سهام » رفضت الكثيرين ممن تقدموا لها حتى إذا شارفت الثالثة والعشرين دون زواج قبلته بالمصادفة العمياء دون إعمال لأى تفكير . ذلك ما انتهى إليه .

أما الحقيقة فهى أنها كانت تحب شابًا فى الجامعة هو « مهدى » . ووصل بينهما الحب إلى أقصى غاياته . وكان « مهدى » من الذين يحبون ألا يمروا بالجامعة مروراً سريعاً . وكان السقوط عنده أيسر من النجاح . وكان فى حياته يميل إلى الأيسر لا الأحسن . فتأخر « مهدى » فى طلبها . ونفدت أعذارها أمام أبويها . وقبلت « حمدى »

كما يفعل الإنسان أى شىء يعرض عليه ما دام الذى يريده لا يمكن الحصول عليه .

وظلت هذه الحقيقة خافية على « حمدى » طول حياته . ولو عرفها ما تغير الأمر كثيرًا . فهو من هؤلاء الكثرة الذين يهتمون بالنتائج دون أن يهتموا بالأسباب التى أدت إليها .

وبعد الزواج وجد « حمدى » نفسه ضائعًا فى لجة متلاطمة من المال . ولا مال لديه . ومن شخصية « سهام » الطاغية عليه . قبل أن يكون تابعًا لا متبوعًا . مأمورًا لا آمرًا . طيعًا كالقضيب اللدن طاوع فى الشكل اليد على حد تعبير شوقى أمير الشعراء .

والغريب - وإن كان هو لم يستغرب - أنه أصبح سعيدًا بمكانه هذا لا يريد عنه حولاً أو منصرفاً . حتى لا يجزع إذا فكر أن سيضطر أن يكون متبوعًا . لا تابعاً آمرًا لا مأمورًا ، صلبا لا طيعًا .

غير أنه فى هذه الغمرة كان يبحث لنفسه عن وجود يمارس فيه كيانه . ويشعر فى ميدان هذا الوجود أنه لا يزال حيًا غير ميت . .

حاول فى المحاماة فخذلته شر الخذلان . فهى مهنة يحتاج الناجح فيها أول ما يحتاج إلى شخصية . ويحتاج الناجح فيها إلى جهد . ويجب أن يبذل جهدًا وأن يكون صاحب رأى يقف إلى جانبه .

وما هو بصاحب رأى . فكان لابد أن تخذله المحاماة .

حاول أن يكون أنيقًا . فلم يسعفه قوامه الأكرش القصير .

حاول أن يكون مهتمًا بأى شيء فلم يجد شيئاً يستطيع أن يسمعه . ويدعى الإعجاب به دون أن يسأل سائل عما فهم إلا الموسيقى . فهى أنغام ذات معنى عميق لمن يفهمها . ولا معنى لها لمن لا يفهمها . وعند الشرح يستوى الجاهل فيها والعالم . ويبدو الغبى كالذكى . والفاهم كمن لا يفهم .

وفى أطواء الخفاء كان يريد أن يشعر أنه رجل . وهذا الشعور كان لا يجرؤ على الانتفاض فى عميق نفسه . وهو فى أحضان «سهام» . كان دائماً يشعر أنه لا يفرض عليها حق الرجل على المرأة . وإنما كان يشعر أنها هى تمنحه – تفضلا ضمن ما تتفضل به عليه – جسم المرأة منها .

فهو فى أحضانها موهوب لا واهب . متفضلة هى عليه بلا تفضل منه . كان اللقاء بينهما ليس لقاء امرأة برجل . وإنما هو واجب تؤديه مع ما تؤدى من واجبات عليها كما عليه أن يشكرها عليه كما عليه أن يشكرها على كل شيء آخر .

كان يريد أن يكون رجلا ككل رجل ينال اللذة ويعطيها . ويتمتع ويستمتع . ويعطى ويأخذ . فإنه معها لا تعترف له بأى عطاء مهما يبذل .

والواقع أنها كانت تمنحه نفسها لأنه من الطبيعى أن تمنحه نفسها . ولكن شعورها بأنه لا كيان له كان يجعلها دائماً لا تحس برجولته . كان

اذا أجاد أحس أنها تقاضيه ديناً مستحقًا . واذا أخفق أحس أنه مدين مفلس يحرجه الدائن . ولا يجد من حرجه منقذاً .

فهو محق أن يبحث عن هذه الرجولة فى فراش آخر . وكان فراش «سعاد» هو أقرب فراش .

ولم تكن «سعاد» قبيحة . فهى فتاة سمراء شديدة السمرة . قوامها مياد هفهاف . وهى زوجة لزوج لا يلقاها إلا فى إجازتها كل أسبوع . فالصلة بها مأمونة لا خوف منها إلا أن تمسك بهما «سهام» .

وقد استمرت علاقته بها سنتين تقريباً . ولكنه مازال يعجب بنفسه كلما ذكر أول يوم تجرأ أن يهمس بالرغبة همسته الأولى لها .

وهو يحسب أن شجاعته هى التى أتاحت له ما تم بينه وبين «سعاد» . ولقد يخادع نفسه ويظن أن مركزه بوصفه البك هو الذى مهد لها السبيل . وقد يقف أمام المرآة . وتغشى عينيه غاشية من النرجسية والرضاء عن النفس . فيظن أن جماله قد أوقع «سعاد» فى شباكه . والا فكيف يبرر أن «سعاد» قد لبت أول إشارة له .

– عودك حلو يابنت يا «سعاد» .

– خدامتك ياسيدى .

– ترى أيعرف زوجك قيمته .

– جاءته خيبة .

– العود عطشان ؟

– ولا يسقيه إلا العزيز الغالى .

– صحيح يابنت .

– خدامتك ياسيدى .

هو معذور إذن أن تذهب به الظنون حيث ذهب من الرضا عن النفس . .

ولكن الحقيقة كانت أبعد ما تكون عما ذهب إليه . فكل ما حدث كان من فعل «سعاد» فقد أدركت بذكائها أن هذا البك ضائع فى البيت . وأنه مستعد أن يكون رهن إشارتهم لو أباحت له نفسها . ثم هو لا شك سيغدق عليها من المال مالا تتوقع . وهى بعد لن تخسر شيئاً وماذا عندها فتخسره .

فحين تكلم عن عودها لم يكن هو الذى يتكلم . وإنما كان الإعداد الذى أعدته هى . فهى تعرف تماماً أن عودها جميل . وهى تعرف تماماً كيف تجعله أعظم جمالا . فلها وسيلتها أن يسطع النهدان منها . ووسيلتها أن يدق الخصر وينفر ما دونه . فكان لابد للبك أن يقول ما قال . وما دام قد قاله فكل شىء بعد ذلك ميسور قريب .

كانت ليلة باردة . وكانت «سهام» قادمة من شقة «درى» . وعندما دخلت فراشها أعطت له ظهرها . وكانت بينهما لغة خرساء فى الفراش . فهى إن أولته ظهرها فهى إنما تخبره أنه غير مسموح له بالاقتراب منها فى ليلته هذه وإن اتخذت وضعاً آخر فله أن يقترب .

ولكن المهم أن إشارة البدء لم تكن تصدر إلا منها هى وحدها .

وفى تلك الليلة الباردة أحس حنيناً . . تأكد أنها نائمة . وتسلل إلى فراش «سعاد» . لم تكن «سهام» نائمة . وإنما لسبب لاتدريه أوهمته بنومها . وحين تسلل تعجبت بعض الشئ . وانتظرت قليلا . ثم تبعته دون أن يند عنها صوت . رأته رأى العين فى وضوح لا شك معه فيما يفعله أو تفعله «سعاد» .

ياابن الكلب .

دون أن تنطق . . تراجعت . .

ماذا أفعل ؟

واين أجد زوجاً مثل حمدى ؟

وأين أجد خادمة مثل «سعاد» ؟

وماذا حدث . لقد كنت الليلة فى نفس وضع «سعاد» مع «درى» .

كل ما فى الأمر أننى عرفت وهو لم يعرف . إذن فكأننى لم أعرف .

ولكن ماذا يستطيع أن يفعل هو لو علم بأمرى وأمر « درى » !

أما أنا فأستطيع أن أجعله شحاذاً .

إن قطعت عنه المال .

وإن تركنى من يحتمل أن يكون مثله .

المشكلة كلها يحلها شئ واحد .



أنا نائمة .
أنا لم أستيقظ .
أنا لم أر شيئاً .
أنا لم أعرف شيئاً .

° ° °

« كريمة هانم » لا تترك كرسيها فى النادى إلا حين يدعو داع لا قبل لها برده . ولجلوسها فى النادى أسباب قوية . منها أنها كانت راقصة شهيرة أحبها الأستاذ « سامى إبراهيم » المحامى وتزوجها فتركت عالم الرقص إلى عالم سيدة البيت . ولكن الماضى الذى يصر على أن يلاحق الناس لم يشأ أن يعفيها من قانونه الأزلى . وقد أنجبت كريمة » « لسامى » فتاة تناهز الآن السادسة عشرة من عمرها . وقد أصر ماضى الأم أن يلاحق الفتاة أيضاً . وهكذا كانت « كريمة » تتشبث بكرسيها فى النادى . هاربة من ماضيها . باحثة لنفسها عن مكان فى مجتمع زوجها . والمجتمع – هذا المجتمع – لا يرفض فى صراحة . وإنما هو يتظاهر بالقبول ثم يشيع الهمس فحيحاً له جَرْس أغبر قاتم مشبوه .

وتحب « ماجدة » وهذا هو اسم الفتاة أن تنسى ما تعرفه عن ماضى أمها بأن توغل فى نشاط النادى موهمة أصدقاءها وصديقاتها ونفسها قبلهم أنها فتاة طبيعية . شأنها فى الحياة شأن أى فتاة .

وهذه الصداقات تتوطد أو توهن وتضعف دون سبب معقول يدعو لأى من النقيضين .

وكانت « ماجدة » تحب أن تلعب التنس . وقد بلغت فيه مدًى أهّلها أن تدخل بطولات وكان « أسامة » يلعب التنس . وقد بلغ فيه

مدًى يؤهله أن يتقدم إلى البطولات . ويحس « أسامة » من هذا ومثله أنه يستطيع أن يكون إنساناً قائماً بذاته يعتمد عليه غيره .

وحين نال « أسامه » شهادة الثانوية العامة . أصبح عنده سيارة . وكانت ماجدة لا تترك السيارة . بل إن « كريمة » كثيراً ما كانت تعتبر سيارة أسامة كأنها سيارتها الخاصة . وتطلب إليه ما لا يطلبه أحد إلا من الأقرباء المقربين . و « أسامة » سعيد « بماجدة » و « كريمة » معاً .

والأم « سهام » تحب دائماً أن تكذب عينها وما تسمعه . فصلة « أسامة » « بماجدة » في رأيها إنما هي صلة من الطبيعي أن تقوم بين شاب وشابة يحبان اللعبة نفسها . وينتميان إلى ناد واحد . وإلى سن واحدة .

ولكنها في عميق نفسها كانت هالعة أن تكون الصلة أكثر من ذلك . وأي مصيبة أعظم من أن يتزوج « أسامة » من « ماجدة » . . إن أمها . . . لا . . . لا . . . هذا لن يكون وإن بذلت دمي .

- ٧ -

كان الدكتور « درى » قد أوشك أن يترك العيادة حين قدمت إليه « فريدة » :

– أونكل « درى » .

– « فريدة » ؟

– كعب رجلي يؤلمني .

– وجئت وحدك ؟

– هذه أول مرة أخرج فيها وحدى .

– وكيف جئت ؟

– « أسامة » لم يخرج اليوم . وأخذت سيارته .

– و « سهام » . . . أقصد ماما سمحت لك ؟

– ليست في البيت .

– أين ذهبت ؟

– ولماذا أعرف ؟

– هل تحسنين قيادة السيارة في هذا الزحام ؟

– ماذا جرى يادكتور . أتراني طفلة أمامك . . . أنظر جيداً إلى من تتكلم .

ونظر . . . ولم يكن من قبل قد نظر . . إنها الشباب في زهوة نضرته



يطل منها عينان . هما الجرأة . وهما الدعوة . وهما التحدى . وهما أيضاً ذلك الحياء الذى يزيد النار اشتعالاً . وأنف يشير إليك صاحبته تريد أن تحب وتبحث عن حبها . وتريد أيضاً أن تكون محبوبة . أنف فى طرفه نوع من الشموخ والكبر . وفى مداه تناسب مع وجنتين تعلوهما من قوة الشباب حمرة ويعلو ذلك جميعا شعر كالشباب . عربيد كأيامه . يستعصى على الهدوء ، ويتناثر كأنه لوحة فنان حديث .

– من أين هذا جميعه ؟

– ألم تكن تعرفه ؟

– أراه لأول مرة !

– لأنك لم تفكر أنه تراه .

– والشباب . . . زملاؤك . . . أصدقاؤك . . . ألا يرون هذا الذى أرى ؟

– يرون فىّ أكثر مما أرى فى نفسى .

– ولكنهم لا يعجبونك ؟

– فيهم غرور .

– ولا تحبين الغرور ؟

– قد أحبه لنفسى . ولكن لا أحبه لغيرى .

– ولماذا تظنين أننى لست مغروراً ؟

– غرور مثلك معرفة بقدر النفس وليس غروراً .

- ستجعلينى مغروراً .
- كن ما تريد . . فأنت كما أنت أحلى شئ فى الدنيا .
- شئ !
- عندى أنا ليس فى العالم أحسن منك .
- ولا سيارة كسيارة « أسامة » .
- ولهذا قلت شئ . . . أنت أحسن شئ فى الدنيا .
- أصبحت مغروراً فعلاً .
- وما البأس .
- هيا بنا .
- إلى أين ؟
- أرى كيف تقودين السيارة .
- وهو كذلك .

• • •

- ٨ -

قد أقبل أى شئ إلا أن يتزوج « أسامة » من هذه « الماجدة » . لم يبق إلا « كريمة » الراقصة لتكون حماة « أسامة » . ويقول لها الأولاد بانيتا . ترى أى ألقاب الجدات ستفضلها « كريمة » تيتا . . نينا . . أنًا . . ستو . لا يهمنى . ليكن اللقب ما تريد . إنما لن يناديها بها أولاد أسامة وان بذلت حياتى .

- « درى » .
- كيف أنت يا « سهام » ؟
- أريد أن أراك .
- إننا سنلتقى غداً . أليس كذلك ؟
- أريد أن أراك حالاً .
- ماذا حدث ؟
- لا بأس أن أخبرك بالتليفون .
- خيراً .
- لا يستبعد أن أصاب بالشلل .
- أعوذ بالله .
- « أسامة » سيجننى .
- ماله ؟
- ألا تعرف ؟

- من أجل « ماجدة » !
- أتراها مسألة بسيطة ؟
- لا تستحق كل هذا .
- لو تزوجها سأصاب بالشلل إن لم أمت .
- يا « سهام » أولاد هذه الأيام لا يمكن التحكم فيهم .
- إلا أولادى . أولادى لا يخرجون من يدى أبداً .

وحمد « درى » الله أن التليفون لم يعكس إليها هذه الإبتسامة الساخرة التى ارتسمت على وجهه . . وراحت هى تكمل .

- أولادى أنا غير كل الأولاد .
- وماذا تريدين أن تفعلى ؟
- هذا كلمتك .
- هل أستطيع أن أفعل شيئاً .
- أنت تحب « أسامة » و « أسامة » يحبك .
- إياك أن تطلبى منى أن أنصحه .
- ياسلام ! وما البأس أن أطلب هذا ؟
- النصيحة عملة غير مستعملة فى هذا الجيل . وأنا أكره أن أقف موقف الناصح على أية حال .
- اطمئن ياسيدى . المسألة غير هذا تماماً .
- إذن أنا تحت أمرك .
- أنا أخطب منك « عبير » « لأسامة »

– ماذا ؟

– ألم تسمع ؟

– سمعت .

– فما هذه الدهشة ؟

– أليست مفاجأة ؟

– كل خبر مفاجأة قبل أن تسمع .

– ولماذا أضحى بينتى ؟

– إذا تزوجت بنتك «أسامة تكون ضحيت بها ؟ !

– إذا لم يكن أسامة يحبها .

– الزواج يولد الحب .

– أو يولد الكره .

– ولماذا تقدر السيء ؟

– بقدر ما تريدين السعادة لأسامة أريد السعادة لعبير .

– أنت ترفض .

– ارفض أن يفرض على عبير شاب لا يحبها .

– فإذا طلبها هو؟

– أشوف رأيها .

– ولكن المبدأ غير مرفوض عندك .

– الرأى رأى «عبير» . .

– اتفقنا .

– وشيء آخر !

– قل .

– يجب أن تكلمى «إلهام» أختك «وناهد» أيضاً .

– «إلهام أستطيع أن أكلمها أما ناهد . . .

– سترى ماذا ستفعل فى الوقت المناسب ؟

– أراك غداً .

ووضعت سماعة التليفون وما لبث أن رفعتها

– حمدى .

– نعم يا سهام .

– ماذا تفعل ؟

– بعض ملفات لشركة المقاولات .

– اتركها وتعال .

– هل حدث شيء ؟

– ليس شيئاً جديداً وإنما أريد أن أكلمك فيه .

– ألا تستطيعين الإنتظار ؟

– حين أريد أن أتكلم فى موضوع لا أستطيع الانتظار .

– فى ظرف ساعة سأكون فى البيت .

– أريدك الآن .

– أمرك

* * *



وقبل أن يأخذ مجلسه :

– ماذا سنفعل من أجل « أسامة » ؟

– ماله «إسامة » ؟

– هذه البنت التى لا يتركها ليلا أو نهاراً .

– أهذا شيء جديد ؟

– النار تأكلنى كل يوم وكأنه شيء جديد .

– وماذا بيدنا أن نفعل ؟

– أنا أقلب الدنيا .

– قد تستطيعين أن تقلبى الدنيا ولكن هل سيفيد هذا فى صلة أسامة بماجدة .

– سترى ماذا سأفعل !

– أنا تحت أمرك .

– أولا أريد أن أخطب له « عبير » .

– عبير ؟

– نعم

– وكيف عرفت أنه سيقبل ؟

- هذا شأنى .

وقبل أن ينقضى اليوم كانت تزور « إلهام » .

– أريد « عبير » « لأسامة » .

– ماذا ؟

– وما العجب ؟

– لا عجب ولكن ما أسمعه عن « أسامة » .

– لا يهمنى ما تسمعينه .

– يا سهام أخاف أن تسىء إلى هذه البنت أكثر مما أسأنا .

– أنسىء إليها إذا طلبناها لابننا ؟

– إذا كان ابننا لا يريدها .

– أنت تعرفين أننى فى بيتى أنا وحدى التى أريد .

– أتستطيعين أن تقولى له يجب أن يحب « عبير » ؟

– أهكذا ينشأ بيت سعيد ؟

– وهل أحببت أنا حمدى ؟

– وهل أنت سعيدة ؟

– ما رأيك أنت ؟

– ليس من الحتم أن يتزوج ابنك من غير حب مادمت أنت لم تتزوجى عن حب .

– أنا أبحث عن مصلحته .

– أنا ليس عندى أولاد ولكن أخاف من تدخل الأمهات .

– حتى ولو لمصلحة الأولاد ؟

– كلمة المصلحة هى الحجة التى تشهرها الأم دائما ، وهى دائماً غير مقنعة للأولاد .

– أنا اعرف مصلحته .

– أنا لست ام عبير ولكنى ارعاها وارى نفسى مسئولة عنها ولعله من العدل أن ابحث أنا أيضاً عن مصلحتها .

– وهل تجدين لها خيرا من « أسامة »

– لوكان هو الذى يريدها .

– سأجعله يتقدم إليك .

– سترغمينه .

– سيطلبها منك .

ولم تنم « سهام » بل انتظرت « أسامة » حتى وصل إلى البيت بعد منتصف الليل .

– أسامة أين كنت ؟

– فى النادى .

– أنت الآن فى السنة الأخيرة . . ألا ترى أنك لا تذاكر بالقدر الكافى ؟

– مالزوم هذا الكلام ! أنا أنجح دائماً .

– أراك تشغل نفسك بأشياء كثيرة .

– ولكننى لا أهمل المذاكرة .

– أنا خطبت لك .

– ماذا ؟

– « عبير » بنت عمك الدكتور . . .

– أعرفها طبعاً . . لا تحتاج إلى تعريف .

– ما رأيك ؟

– ماما كيف تخطبين لى ؟

– أليس هذا من حقى ؟

– وأنا أليس لى حقوق ؟

– أنا أبحث عن مصلحتك .

– وأنا أليس من حقى أن أبحث عن مصلحتى ؟

– أتعرفها أكثر منى ؟

– قد أخطئ وقد أصيب . . أحب أن أتحمل نتيجة الخطأ . وأفرح بالصواب . على شرط أن أكون أنا الفاعل

– وإذا جنبتك طريق الخطا هذا أليس خيراً لك ؟

– أمن الخير لى أن أصبح شيئاً تريدين له أنت كل شئ حتى القميص تختارينه أنت .

- وكل الناس تتكلم عن أناقتك .

- ليست أناقتى إنها أنت على جسمى أنا !

- وأنت الذى تتمتع بمديح الناس .

- أنا لا أتمتع لأنى لم أصنع ما يستحق المديح. أنا لم أقم باختيار شئ حتى أحس بحلاوة المديح !

- المهم الأن ماذا قلت ؟

- فيم ؟

- فى « عبير »

- ماذا تقولين أنت إذا رفضت ؟

- رفضت . . . أهذا معقول ؟

- مادمت تسألين الرأى فلا بد أن تتوقعى الرفض أو القبول .

- أنا لا أتوقع الرفض من أحد على الإطلاق ، وخاصة منك أنت !

- فإذا رفضت ؟

- تصدمنى صدمة عمر !

- أى رفض بالنسبة إليك صدمة عمر؟

- لا داعى لتحليل الآن .

- تفرضين على نفسك وترفضين أن أفكر .

- فكر كما شئت .

- منذ متى . أنت دائماً التى تفكرين لى

- لأنى أحبك .

- أخشى أن أقول لأنك تحبين نفسك .

- هل هذا الذى أفعله الآن من أجلك أو من أجل نفسى !

- من أجل نفسك وإن حاولت أن تقتنعى أنه من أجلى .

- « أسامة » لا تكثر من اللف وقل كلمتك .

- وهل لى من كلمة ؟

- إذن فأنت موافق .

- بل رافض وبكل شدة ؟

- غير معقول

- إنما هذا هو المعقول الوحيد .

- أتكره عبير .

- لوكنت اعبدها حقا لرفضت الطريقة التى تريدين أن تزوجينى بها .

- مجرد كبرياء .

– لابد أن أختار أنا زوجتي على الأقل . إنها ليست قميصاً أو حذاء .

– وهل اختياري ضرر بك ؟

– بل قتل لي .

– إذن .

– هو ما سمعت .

– لقد استعملت حقك .

– مادام حقي فلي أن أستعمله .

– إذن فلأستعمل حقي .

– أنت حره .

– أنا صاحبة كل مليم يصرف في هذا البيت .

– اذاً ؟

– هو ما سمعت .

– أعرف أني سمعته .

– وهل كان عندك شك أنك ستسمعه .

– دهشتي أنه جاء متأخراً

– استعملته حين احتجت إليه .

– وترين هذا عدلا ؟

– أنا أرى . . .

– لست في حاجة أن تجيبي عن هذا السؤال .

– أتعرف إجابته .

– انها غير ما تفكرين فيه على أية حال .

– لا يهم . . . يهمني الآن أن أعرف رأيك .

– وهل لي رأي .

– لك أن تختار .

– إنما يختار من يملك الاختيار .

– إذن فأنت موافق !

– بشرط أن تقبل « عبير » .

– إذا كلمتها ستقبل .

– وتريدين أن أكلمها أيضاً .

– « أسامة » اسمعني جيداً فإني أريد أن أكون واضحة .

– أنت فعلا واضحة .

– ليس بالقدر الكافي . لن أنفق عليك ولن أترك لك السيارة

المسجلة باسمى إلا إذا تزوجت « عبير » . لا يكفينى أن توافق أمامى ثم تذهب إلى خالتك من ورائى وتشكو لها ظلمى ، ولا يكفينى أن توافق أمامى وتهمل « عبير » حتى يكون الرفض من جانبها . موافقتك هذه لا تساوى عندى شيئاً . إنفاق عليك وبقاء السيارة مقابل زواجك . ولا أرضى شيئاً أقل من الزواج ولا حتى الخطبة . الطريق الذى ستسلكه إلى هذا الزواج شأنك أنت لا شأنى أنا .

– إنذار أشبه بإنذارات الدول الكبرى للدول المحتلة .

– ولا يهمنى تعليقك أبداً .

– أمرك . . والمهلة ؟

– أسبوع .

– أهو يكفى .

– أكثر من الكفاية .

* * *

ذهب إلى خالته :

– طبعا ماما خطبت « عبير » منك !

– المهم رأيك

– يهمنى جداً أن أتزوجها .

– هل أنت راغب فيها حقاً ؟

– مستقبلى كله متوقف على قبولها .

– ألا تسألها

– ليس قبل أن تمهدى لى عندها

* * *

وحين سألت « إلهام » « عبير » قالت :

– أبى أخبرنى .

– وأنت ما رأيك ؟ !

– « أسامة » لا يرفض ولكن أهو يرغب فى هذا الزواج فعلاً أم هى رغبة تنت « سهام » ؟

– لقد كلمنى وهو يبدو ملهوفاً عليك .

– ولماذا لم يكلمنى . . . أنا معه كل يوم فى النادى .

– طلب أن أمهد لك عنده .

* * *

– « عبير » لقد عرفت .

– تخطبنى على طريقة الحريم .

– خفت أن ترفضى .

– وما البأس أن أرفض إنما كان يجب أن تواجهنى أنت .

- ها أنذا أواجهك .
- هل متأكد من شعورك .
- وإلا فلماذا أكلمك .
- لعلك تريد أن ترضى تنت «سهام»
- ألا تعرفين كم أنت جميلة !
- مسألة الجمال لا دخل لها فى الموضوع .
- ونحن أشبه بالأقارب .
- كل هذا لا يهم .
- فما الذى يهم ؟ !
- إن كنت لا تعرفه فليس المفروض أن أقوله أنا لك .
- من الطبيعى أن أحبك .
- بالقدر الذى يكفيك أن تتزوجنى .
- ربما أكثر .
- هل تشك ؟
- ليست هناك مقاييس ثابتة .
- هل أنت واثق من شعورك ؟
- هذا لا شك فيه .
- أفكر ؟ .
- يخيل إلىّ أنكِ فكرتِ فعلاً !
- إنا لا أرى فيك عيباً .

- فلماذا التفكير ؟ !
- كلمة لابد أن تقال .

* * *

حين ركبت معه «ماجدة» اضطر أن يقول :
- أنا واقع تحت ظروف لا قبل لى بها .
- ماما لا يخفى عليها شئ .
- أتقدر ظروف .
- الحقيقة هى غاضبة .
- أين هى الآن ؟
- فى النادى .
- ومتى ستذهب إلى البيت ؟
- لماذا ؟
- أريد أن أراها فى البيت .

وذهبا إلى البيت وفى التليفون طلبت «ماجدة» من أمها أن تعود إلى المنزل حالاً .
- أنت عرفت .
- هل أنت طفل ؟ !
- أنا طفل حتى أتخرج من الجامعة !
- فهى إذن قد أرغمتك ؟ !

– وقبل أن أتخرج فى السنة الأخيرة وليس لى مكان أذهب إليه لا بد أن يتم الزواج وفى أسبوع !

– وماذا أنت فاعل ؟ !

– سيتم الزواج .

– وفيم تريدنى ؟

– أرجوك ألا تغضبى .

– وماذا يهمك من غضبى ؟ !

– الكثير . .

– على كل إنسان أن يبحث عن مصلحته .

– أنا أعرف مصلحتى .

– اصنعها .

– أن أتزوج « عبير » .

– مبروكة عليك .

– ولكننى أحب « ماجدة » !

– وماذا تريدنى أن أفعل ؟ !

– لا شئ إلا أن تعذرينى .

– اسمع مثلك لا يهمه أن أعذره أو لا أعذره .

– لو كنت كذلك ما أصررت أن أكلمك .

– يابنى ربنا يعمل ما فيه الخير .

– اسمحى لى أن أقبل يدك .

– العفو .

– أرجوك .

* * *

قال الدكتور « درى »

– « أسامة » أنا أعرف والدتك حين تريد شيئاً لا يقف أمامها شئ . . إن كنت يابنى تريد أن تتزوج ابنتى تنفيذاً لأوامر « سهام » فقط فأخبرنى ولا شأن لك إنى أستطيع أن أؤثر عليها .

– مطلقاً ياعمى .

– و« ماجدة » ؟ !

– صداقة تنس ونادى ، وهل مثلك يهتم بالمظاهر ؟ !

– أنت واثق مما تقول .

– كل الثقة .

وتم الزواج . . وفى أسبوع .

* * *

- ٩ -

كان الحب الذى هبط فجأة على « فريدة » لخالتها « إلهام » يثير العجب الداهش فى نفس « سهام » ولكنها فى نفس الوقت لا تجد أى مبرر لمنعه ، وحين تزوج « أسامة » من « عبير » طلبت « إلهام » أن تجعل العروسين يقيمان عندها فى البيت الكبير الذى يملؤه الفراغ إذا خرجت منه « عبير » .

وقد كان أهم شيء عند « سهام » أن يتزوج أسامة من « عبير » . لا يهم بعد ذلك أين يقيمان . ولعل إقامتها عند « درى » كانت أنسب ، فهى تستطيع أن تزور البيت بغير حرج ، بعد أن كانت أختها تتجهم لزيارتها عند بدء زواجها من « درى » . مما جعلها تكتفى برؤية « درى » فى الشقة الخاصة .

أما « فريدة » فلم تكن تجد حرجاً من زيارة خالتها كلما شاءت ، من الطبيعى أيضاً أن تكون صديقة « لعبير » ، فالمظاهر إذن كانت طبيعية وكانت تستطيع فى يسر أن تخفى تلك العلاقة التى قامت بينها وبين الدكتور « درى » . وقد استطاع هو بطبه وبما يعطيه لها من دواء أن يجعل تلك العلاقة لا تثمر شيئاً غير مرغوب فيه .

وكانت « فريدة » فى غاية الذكاء حين تعامل خالتها ، فهى تقدس جمالها كأنها إله من آلهة الإغريق ، وهى تمتدح ملابسها مهما تكن هذه زينة أو تلك الملابس .

وكانت فريدة ذكية فى معاملتها لأمها ، فهى تطيعها طاعة مطلقة ، ولا ترتدى من الملابس إلا ما تختار لها أمها ، بل هى فى خبث عجيب إذا أرادت شراء شيء أعجبها ، أخبرت أمها به أولاً إن رضيت اشترته وإن رفضت تركته .

وكانت ذكية فى صداقتها « لعبير » فهى دائماً تشعرها بأنها محل حب وحنان من خالتها ومن أمها ، وأنها القبلة التى يتجه إليها حب أبيها .

كانت أختاً مثالية فهى دائماً مهتمة « بأسامة » . تشجعه أن يلقى إليها أسراره التى كانت هى على علم بها من النادى . ولكنها تظهر له كأنها تسمعها لأول مرة . وقد كان أخوها يحبها فى إسراف ، حتى لقد أيدها فى طلب سيارة لها يوم حصلت على الثانوية العامة وأصر أن تكافأ بسيارة مثله .

وحين تخرج « أسامة » فى كلية التجارة قدم لأخته معطفاً انتقته له ولها أمها بالطبع .

وكان من الطبيعى إذن أن تكون «فريدة» متحمسة لرغبة «أسامة» فى السفر إلى البلاد العربية ليكون نفسه .

وكان من الطبيعى أيضاً أن تجن أمه جنوناً لهذه الفكرة ، فهى لا

تتصور أن يبعد «أسامة» عنها ويكون فى بلد آخر غير البلد الذى تعيش فيه ، ولعلها عجبت لنفسها يوم قبلت أن يعيش مع «درى» فى بيت واحد ، ولكنها فعلت ذلك رغبة منها فى زيارة «درى» فى بيته أى وقت والا لما سمحت «لأسامة» أن يقيم بعيداً عنها بأى صورة من الصور .

كانت «سهام» تستطيع دائماً أن تبدى غير ما تظهر ، وكانت تستطيع أن تلف وتدور حول ما تشتهيه ، حتى إذا أعياها اللف والدوران ، واجهت الأمر بعيون جريئة متحدية لا يعنيها أن يظهر من شعاعها ما كانت تخفيه .

كانت تريد أن تمنع «أسامة» عن السفر ، وكانت راغبة فى ذلك رغبة عارمة عاتية لا يقف عندها عقل أو منطق أوشئ من الروية ، وكانت تخشى أن تطلب إليه ذلك فى صراحة فيزداد إصراراً ، ولكنها كانت مطمئنة آخر الأمر أن المال فى يدها وأنها تستطيع أن تمنعه عن السفر وقتما تشاء ، ولكن شيئاً فى داخلها كان يجعلها ملهوفة خائفة أن يتمكن «أسامة» بوسيلة أو بأخرى أن يدبر أمراً ويسافر . فلم تملك أن تمنع نفسها . وقالت له :

– إن كان من أجل المال . . !

– وهل يمكن أن يكون إلا من أجل المال .

– ألا يكفيك مالى ؟!

– أريد مالى أنا .

– هل منعت عنك شيئاً ؟

– أنا عرفت قيمة المال حين تزوجت «عبير» .

– ألا تحبها ؟ !

– هذا موضوع آخر .

– أتريد أن تنتقم منى ؟ !

– هل أنت بالنسبة لى مال فقط ؟ !

– انت كل شئ بالنسبة لى . .

– لا تنسى «فريدة» !

– طبعاً أقصدك أنت وهى .

– وأبى ؟ !

– هل هى محاكمة ؟ !

– أقصد أننا كثيرون حولك . .

– وهل يبرر هذا سفرك ؟ !

– يجعله معقولا .

– واذا طلبت منك ألا تسافر ؟

– أسأل عن الأسباب حتى أقتنع . .

– أناأمك وأطلب إليك ألا تسافر .

– لقد تمكنت من هذا طوال الفترة التى كانت فيها تلميذاً . أما الآن فقد تخرجت .

– هل معنى التخرج أن تستغنى عنى !

– معنى التخرج أن أعتمد على نفسى .
– أخصص لك مصدراً للمال .
– إن أموالك هى الجامعة التى لاتتصورين أن أتخرج منها مطلقاً .
وإنما دائماً تريدين أن أبقى طالباً بها !
– لأنى أحبك . .
– لأنك تحبين أن نظلّ محتاجين إليك !
– أجننت ؟
– آسف لم أقصد .
– أنت حر .
– أرجو أن أكون حرًّا .

وخرج واشتعل بها الجنون . . أهذا ممكن ؟ ! لم تكن متهيأة للخروج . ولكنها لم تهتم وخرجت وركبت سيارتها . . وهى لا تدرى اين تذهب . . الوقت مساء وظلام الليل دامس . والنور فى الشوارع ينسكب فى عينيها قطعا من السواد . والناس كأنهم قطعان من الغنم . أو دمى فى السرك . . . كل الناس دمى . . . كل الناس تحركهم أصابع أخرى غير عقولهم . . منهم من تحركه أصابع الرغبة فى الغنى . أو الرغبة فى الجنس الآخر . أو الرغبة فى السيطرة . . أين « درى » الآن . . لا يمكن أن يبقى فى العيادة حتى الآن !

أنا لا أريد إلا أن أهيئ الخير لأبنى وبنتى وزوجى . أنا لم أصنع

شيئاً إلا رغبة الخير لهم . وصنع هذا الخير بكل ما أملك من قوة ومن مال . لماذا ينفر منى «أسامة» ؟ ! هو وحده ينفر منى . أما فريدة وحمدى» فإنهما لم ينفرا أبداً . لماذا «اسامة» وحده ؟ ! لعلها «عبير» . ومَنْ قبل «عبير» ؟ لعلها هذه الراقصة وبنتها الخليعة ! ! لقد اقتلعته منها ، بعملية جراحية عنيفة . ولكن لا بأس . ولهذا يقول إننى أحب أن يظلوا محتاجين إلىّ . إنه لا يستطيع أن ينسى زواجه من «عبير» وتركه لهذه الفتاه ابنة الراقصة .

ساحت السيارة فى الشوارع القاهرة . . وفأجاة وجدت نفسها أمام بيت أختها فدخلت :

– إنه يكلمنى بثقة يا«إلهام» !
– ما العجب !
– لابد أنه حصل على المال الذى سيسافر به .
– ربما . .
– من أين ؟ ؟ !
– وماذا يهمك ؟ !
– أعرف فقط .
– لماذا لا تتركينه يسافر يا«سهام» ؟ !
– يسافر يا « إلهام » . . يسافر «أسامة» ! ويقيم بعيداً عنى . .
أجننت ؟ !

– بل أحسب أنك أنت التى جننت !

– هل من تحب ابنها مجنونه ؟ !

– بل من تقتل ابنها بحبها هى المجنونة ! !

– أنا يا «إلهام» . . أنا . . . !

ذوق إذن من كأس لم تذوق منه أبداً . لقد عشت تحقدين على جمالى وتركت لك الأطفال لم أنجب منهم شيئاً . ولم تتركى الحقد عليّ . وذوق اليوم من أطفالك الغصة . تريدين اليوم أن تحبسى أبنك فى سجونك بإشارة من أصابعك . ولكن «أسامة» رفض أن يكون مثل أبيه . أتحسبين أن المال كل شئ . . إن كنت تملكين المال فإن غيرك أيضاً يملكه . قولى ولا تسكتي . أعرف من حديثك هذا أن أسامة لا يزال صغيراً . ألم يكن صغيراً يوم أرغمته على الزواج . . إنه لا يعرف كيف يتصرف . فلماذا لا تجعليه يتعلم كيف يتصرف ؟ ! وعندما يمرض ! وما البأس من أن يمرض ! فى كل بلد أطباؤه . اتركى عنان الفتى يا «سهام» . . اتركى «اسامة» يا «سهام» .

– اتركى «أسامة» يا «سهام» . .

– أتركه لمن ؟ !

– لنفسه . .

– إنه أهبل ! !

– لمَ تقولى هذا حين خطب «عبير» ؟ !

– و«عبير» طفلة . . !

– دعى الأولاد يكبروا معتمدين على أنفسهم .

– إلهام هل أنت التى أعطيت « أسامة » مصاريف السفر ؟ !

– وما البأس . . !

– إذن فلن أدخل بيتك مرة أخرى ، لوكان لك أولاد لفهمت حب الأم . .

وابتسمت « إلهام » وهى ترى أختها تنتفض خارجة تاركة وراءها كثيراً من الضجيج .

فى الشارع وحدها مرة أخرى . تريد « درى » ولا تدري أين تجده ليس عجيباً أن تساعد « إلهام » « أسامة » على عصيانى ، فهى لا أولاد لها ، وحقد الأخت أشد من حقد الأخرين . وما لها لا تحقد . لقد بدأنا أنا وهى فى السن التى نفكر فيها فى أمور أخرى غير جمالنا . لقد بلغت سن الحقد ، فما هذه العلاقة « بدرى » ، إنها علاقة ممتدة لم أبدأها الآن ، وإنما هى تسير لأنه من الطبيعى أن تسير ، ولكن أين « درى » ، الآن هو طبعاً ليس فى الشقة ، ماذا يمكن أن يصنع هناك وليس بيننا موعد ، ولكن لابد أن أراه ! !

كيف يسمح « لإلهام » أن تعطى « أسامة » ما يحتاج من نقود ليسافر . طبعاً هى تدعى أنها تنقذه منىّ . كأنها تحبه أكثر مما أحبه أنا !

لا أحد يحب أبناءه قدر ما أحب أنا « أسامة » و « فريدة » . إنهما نبضة من قلبي . . إنهما الدماء التي تجرى فى عروقي . . إنهما كل شيء لى . . وأنا أيضا كل شئ لهما . . كيف يفكر « أسامة » فى عصيانى لا شك أن « الهام » شجعته على ذلك وليس ببعيد أن « عبير » أيضاً شجعته . لا أحب هذه « العبير » إنما زوجتها له إنقاذاً له من البلوى الأخرى ابنة الراقصة ! ! كيف أرى « درى » . .

لماذا لا أذهب إلى الشقة وأظل أطلبه حتى أجده . لن أستطيع النوم الليلة إذا لم ألتق به . والدنيا برد وما أظنه سيتأخر عن البيت . لعله يكشف على مريض فى مكان ما . أو لعله فى زيارة لصديق ، ولكن ما يلبث أن يعود إلى بيته .

ذهبت إلى الشقة . . إن الصالة مضيئة . . إذن فهو هنا . . لعله مر مروراً عابراً . . إنى سعيدة أن أجده . . فتحت الباب . . ليس بالصالة أحد . . ولكن هناك شئ . . شئ . . شئ . . إنه معطف . . معطف كهذا الذى اشتريته « لفريدة » وصرخ كيانها جميعاً لا لا واحتبست الصرخة لا تصل إلى الشفاه . . أمعقول هذا ! هى خطوة أو خطوتان وأعرف الحقيقة كاملة . . ولكن هل أريد أن أعرفها ؟ ! أحست أن الأرض تميد بها ، وراحت تلقى نظرتها على الأشياء . لقد اشترت هذا الطاقم هذه الكنبة وهذان الكرسيان هى التى اشترتهما . . هذا الكرسى الذى يحمل المعطف اللعين هى التى اشترته ، وكانت سعيدة وهى

تشتريه . أثاث الشقة جديد وكأنها عروس تجهز نفسها للمرة الثانية بل للمرة الأولى . . فهى فى زواجها الأول لم تختر الأثاث بحرية . وإنما كانت تختاره لها أمها . . أما لهذه الشقة فهى وحدها صاحبة الاختيار . راحت تنظر إلى الأثاث فى سرعة ، ورأت نفسها فى المرآة لا . . إنها ليست هى . . ليست هى تلك الغادة التى اشترت هذه المرآة . بل إنها ليست هى هذه السيدة التى دخلت منذ لحظات . . وفجأة تنبهت . . إنها ليست فى المكان الذى ينبغى لها أن تكون فيه . يجب أن تكون فى أى مكان . أى مكان . . وليكن الجحيم نفسه . ولكن أبداً لا يجوزلها أن تكون الآن و فى هذه اللحظة فى هذا المكان .

خرجت وأغلقت الباب بهدوء يعدل الثورة التى تمور فى نفسها . وهمت أن تأخذ المفتاح معها ولكن وجدت أنه لم يصبح لوجوده فى حوزتها أى سبب . . تركته . . ولم تنتظر المصعد وإنما راحت تهرول على السلم تريد أن تبتعد . لم تكن تريد أن تبتعد عن « درى » ولكن تريد أن تبتعد عن الحقيقة . ربما يكون المعطف معطف « فريدة » وقد لا يكون . ولكنها لا تريد أن تعرف الحقيقة أبداً . . أبداً لا تريد أن تعرف الحقيقة . . إنما تريد أن تترك للوهم والتخمين مجالا واسعاً ولا تريد هذه الحقيقة القاصمة القاتلة السفاكة .

إنها فقدت « درى » ، ولعلها تستطيع أن تفقده . ولكن ابنتها كيف تفقدها . . وكيف تنسلخ عنها . لكن « فريدة » هى شريكة

« درى » ولكنها لا تريد أن تعرف ، ولتكن غيرها ولكنها لا تريد أن تعرف . يكفيها أنها عرفت أنها فقدت « درى » وإلى الأبد .

ركبت السيارة واندفعت كالمجنونة تبحث عن شئ تمارس عليه جنونها ، ولم تجد إلا عجلة القيادة ، وسرعان ما تبينت أن زحام الطريق لن يتيح لها هذا الجنون . أوقفت السيارة فى شارع بعيد عن شقة الخيانة ، ونزلت إلى الطريق ، لم ترد أن تعود إلى البيت . قبل « فريدة » فقد كان أخشى ما تخشاه أن تذهب إلى البيت وتبحث عن المعطف فلا تجده ، أو تنتظر « فريدة » فتجدها داخلة إليها وهى تلبس هذا المعطف .

إنها لم ترد أن تفاجأها فى أحضان « درى » وكانت تستطيع أن تدعى أنها رأت سيارتها . فسألت البواب عمن يسكن بالعمارة وعرفت أن « درى » من بين السكان ، فصعدت لترى ماذا تفعل ابنتها ، لم يغب عن ذكائها أنها كانت ستحتاج إلى تلفيق هذه القصة لتبرر وجودها فى شقة « درى » ، ولكنها لم ترد أن تعرف الحقيقة ، ولم ترد أن تراها ، فمن الطبيعى ألا تحتال لتراها .

كانت تستطيع أن تعرف بوسائل كثيرة ، ولكنها رفضت هذه المعرفة المنكرة وابتعدت عنها .

وكانت تستطيع أن تنتظر من الباب الخارجى للعمارة لترى الخارجين جميعاً .

وهى الآن لا تريد أن تعود إلى البيت . . وستظل تمشى فى الطرقات حتى تتأكد أن « فريدة » قد عادت ، وأنها خلعت المعطف إذا كانت هى صاحبة المعطف الملقى على الكرسى الذى اشترته ، هذا إذا كانت « فريدة » هى صاحبة المعطف . فهو على أية حال معطف جاهز ، وقد تكون غيرها قد اشترت مثله وهى لا تريد أن تزيد الشك شكاً . فلتذهب « فريدة » إلى البيت ، ولتخلع المعطف وليكن كل ذلك بعيداً عن عينيها .

وراحت على غير هدى تدور فى الطرقات ، وكأنها هى نفسها قد أصبحت دواراً أصاب الزمان والمكان جميعاً .

• • •

حين خرج « درى » مع « فريدة » أقفل الباب وأخرج المفتاح من جيبه ليكمل إغلاق الباب . ولكنه فوجئ بمفتاح « سهام » يسد مدخل المفتاح .

– يانهار أسود

وسألته « فريدة » فى بساطة :

– ماذا ؟

وأرتج عليه لحظات ثم وجد نفسه يقول :

– لقد نسيت المفتاح على باب الشقة .

– بسيطة .

– ولكن كان الممكن ألا تكون بسيطة .

– ولكن وجهك ممتقع وكأن أحداً رآنا ! !

– رآنا .. رآنا .. لا .. لا أظن

– لا تظن .. أيمكن أن يرانا أحد ولا نحس به .

– فعلا .. فعلا .. معك حق .. هيا بنا .

ونزلا معاً ولكنه قبل أن يخرج من باب العمارة توقف فجأة .

– أخرجي أنتِ واركبي سيارتك وامشي فوراً .

– ماذا بك ؟ !

– لا شئ .. مجرد احتياط .

– ومتى أراك ؟

– كلميني .

– حسناً .

– أو اسمعي .. تعالى غداً .

– غداً ؟

– غداً إني أريدك فى شئ هام .. غداً .

– أمرك .

وخرجت .. وانتظر قليلا وخرج وراح يتلفت حواليه لم يجد سيارة « سهام » فازداد حيرة وتوجساً وخوفاً .. ولكن كان لابد أن يذهب إلى بيته .

* * *

إذن فلا بد أن ألد . إننى منذ فترة أصبحت أتوق إلى الأولاد . لا أدرى أى جديد غيّر نفسى وجعلنى أتوق إلى الأطفال . أهو السن . وقد علت بى . أعلت بى السن – على كل حال لم أعد صغيرة كما كنت حين رفضت أن ألد . ولكن الآن أريد طفلا . طفلا ألده أنا ولا أربيه لغيرى . مهما أقدم « لأسامة » من عطف يجسّمه المال حيناً . أو يجسمه الاهتمام حيناً آخر . فيظل « أسامة » ابن « سهام » وليس ابنى وسأسمعها تعيرنى بأننى لم ألد . فهى جديرة دائماً بأن تقول أى شئ فى جرأة ووقاحة لا يبلغها احد ! !

ومهما أبذل من اهتمام « بحبيبر » ومهما تقل لى ماما « إلهام » فستظل دائماً ابنة « ناهد » « درى » ولن تكون ابنتى . أريد لنفسى طفلا ولن أسكت حتى أنال هذا الطفل . لعل « درى » لا يهمه أن يكون له ولد منى . أما أنا فيهمنى . . لقد أوقفت تناول الدواء منذ فترة ومع ذلك . .

ويقطع عليها « درى » هذا التفكير المُلحّ وهو يدخل ممتقع الوجه لا إشراق فيه . ولا تلحظ هى ما به فقد كانت فى رغبتها هذه مطمورة لا تفكر فى إنسان آخر . وقبل أن تجيب تحيته المرتجفة :

– « درى » أريد طفلا .

ولم يكن « درى » صالحاً لأى نقاش . ولكن كان لابد أن يجيب .

– وماله .

– لماذا لا أنجب .

– حين تزوجنا لم تكونى راغبة .

– وأصبحت راغبة .

– هل ترين أن سننا الآن تصلح ؟ !

– هل كبرنا ؟ !

– أرقام عمرنا تقول ذلك .

– لدرجة أننا لن نستطيع الإنجاب .

– « إلهام » أنا متعب !

– أنا لا أراك إلا فى هذه الساعة كل يوم وتستكثر على أن أكلمك !

– هذا الموضوع ليس من السهل بحثه الآن .

– أريد أن أذهب إلى طبيب .

– إذهبى .

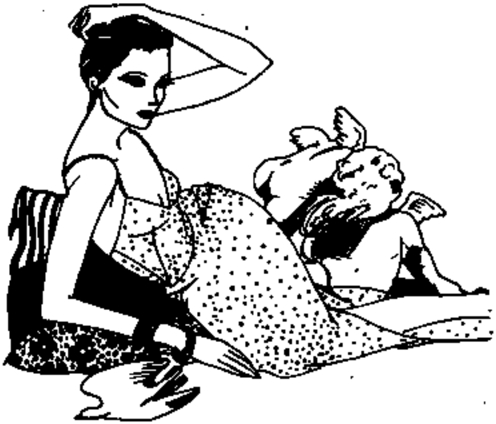
– متى .

– فقط يا « إلهام » قد يقول الطبيب إن سننا لم تعد تسمح .

– دعه هو يقول .

– لاتنسى أننى أيضاً طبيب !

– طبيب عظام .



- ولكنى متخرج من كلية الطب .
- ولكنه ليس تخصصك .
- نذهب معاً .
- متى ؟ !
- متى تشائين !
- غداً .
- غداً نرى .
- لانرى .

ويقطع عليهما مجىء « عبير » و« أسامة » الحديث كلاهما عابس متجهم . والأب مذعور فى داخله . وأكثر ما يخشاه أن يدخل فى نقاش آخر مع ابنته وزوجها . لم يغفل ما هما عليه من مغاضبة . ولكن لم يرد أن يسأل . ولكن متى كانت « عبير » تنتظر السؤال . إنها لم توجه كلامها إليه وإنما التفتت إلى « إلهام » .

- ماماه إلهام « إسألى البك مع من كان يجلس اليوم فى النادى ؟ !
- هل أنا محجور على ؟ !
- يأخى إذا كنت تريد الزواج منها فما الذى منعك !
- ياستى لقد تزوجتك وانتهى الأمر .
- فما معنى جلوسك معها فى النادى ؟ !
- وتنتظرين أن أهرب منها ؟ !
- أنت الذى ذهب إلى الشلة التى كانت تقعد معها .

– وما العيب فى ذلك ؟ !

– ألا تدرى ما العيب ؟ !

– ما العجب فى ذلك ؟ !

– لماذا اخترت هذه الشلة بالذات ؟ !

– أصدقائى وصديقاتى ماذا فى هذا ؟

– لقد قلت بلسانك .

– ألا تعرفين ذلك !

– أنا منتظرة أن أعرف منك .

– وها أنت عرفت .

– ياسعادة البك أرجوك أن تفوق لنفسك ، ليس فى النادى من يجهل صداقتك هذه ! !

– وماذا فى هذا . أنا ألعب تنس وهى تلعب تنس .

– والتنس لا يُلعب إلا معها ! !

– وهل تنتظرين أن أرفض اللعب إذا جاءت إلى الملعب ؟ !

– وهى ما الذى يأتى بها إلى الملعب الذى أنت فيه ؟ ألم تعرف أنك تزوجت ؟ !

– وهل معنى أننى تزوجت أن أخاصم الناس ؟ !

– أيعجبك هذا الكلام يا ماما « إلهام » ؟ !

– والله يا ابنتى أنا لا أفهم شيئاً .

– ماما « إلهام » ألم تفهمى ؟ !

– الذى أعرفه أنه مادام تزوجك فلا تخافى عليه . وهل فى النادى من هو أجمل منك !

– هذا فى رأيك أما سعادة البك فله رأى آخر .

– أرجوك يا عمى درى اشترك معنا فى الحديث . .

– أترك عمك « درى » فى حاله . . أنا ذاهب لأنام .

وقام عن ثلاثتهم ، ولكن « أسامة » ما لبث أن قام هو الآخر وبقيت السيدتان وفى نفس كل منهما كلام متنافر كل التنافر . فإحداهما خائفة على زوجها أن تحيط به الفتاة الأخرى . وأما الثانية فمشغولة بهذا الجديد الذى يلحّ عليها إلحاحاً شديداً . حتى ليخيل إليها أنها لن تعرف إلى الهدوء سبيلا إلا إذا رزقها الله بولد أو بنت .

وكل من السيدتين لا يريد أن يتكلم فالصمت هو اللغة الوحيدة التى يمكن أن تكون مشتركة بينهما .

حين ذهب « درى » إلى حجرته سارع إلى السرير يريد لهذا الليل المهموم الضبابى أن ينقشع عن يوم جديد . ليعرف ما الذى عرفته « سهام » فالليل بالنسبة إليه طويل طويل كأنه الدهر . وهو لا يستطيع أن يتكلم فى التليفون . فإن التليفون يتعذر فيه الحديث فى هذا الوقت من الليل . وهو بعد لم يتح له الوقت الذى يحتاج إليه ليكذب ويؤلف ويعتذر ويموه . فلم يكن أمامه إلا أن ينتظر .

* * *

أما « أسامة » فقد كانت تدور فى نفسه خواطر أخرى وكان يخشى أن يطول الحديث بينه وبين « عبير » فيقول ما لا يريد أن يقول ، فالنوم هو حصنه الحصين وهو قد تحصن .

* * *

- ١١ -

ـ كل علاقة لابد أن تنتهى

ـ لقد أخطأت الفهم .

ـ لا أريد أن أعرف شيئاً .

ـ أشرح لك .

ـ لا تجهد نفسك .

ـ على الأقل لتعرف الحقيقة .

ـ لا أريد أن أعرفها .

ـ اسمعيها .

ـ كنت استطيع أن أرى الحقيقة بالأمس وهربت .

وساد صمت واسترجع نفسه . . لقد أيقن أنها لم تعرف شريكته وكان هذا وحده كافياً أن يهدأ !

ـ ياليتك كنت دخلت .

ـ تستطيع الآن أن تقول ماتشاء .

ـ لو كنت دخلت لزالت كل الوساوس من ذهنك .

ـ « درى » نحمد الله أن علاقتنا لم تنكشف حتى الآن أنا طبعاً كنت مقدره أنها لابد أن تنتهى . . لابد لنا الآن أن نرعى أولادنا .

ـ لا أحب هذه العلاقة أن تنتهى بالصورة التى صنعتها !

ـ تصور أنك قلت لى ما أعددته لتقوله طوال الليلة الماضية .

وتصور أنى صدقته ، ولكنى مع هذا أريد أن أنهى هذه العلاقة . . لقد استمرت أكثر مما يجب .

– اسمعينى .

– لا يجدى أن أسمعك ، وأعتقد أنك أنت يجب أن تنهى علاقاتك الخارجية . مجرد نصيحة تستطيع أن تأخذ بها أو لا تأخذ .

– ليس لى علاقات خارجية .

– إن كان لك .

– أنت غاضبة !

– « درى » أرجوك . الموقف لا يحتمل أى إطالة .

– لهذه الدرجة .

– ليست هناك درجة . . لقد كان ما رأيته أمس هاماً جداً لكى أفيق . أنت لا تعرف . أو لعلك تعرف – لاأدرى – ماذا دار فى ذهنى . هذا المعطف الكريه الذى رأيته – أشياء كثيرة طافت بذهنى . أنا لن أتعرض لهذا مرة أخرى مهما تكن العلاقة بيننا هامة . لن أسمح لك ولا لنفسى أن أتعرض لهذا مرة أخرى .

– لن تتعرضى .

– لا يكون هذا إلا بقطع علاقاتنا ، وإذا تكلمت فى الموضوع مرة أخرى سأقطع المكالمة .

– أمرك

– كيف صحت « لإلهام » أن تساعد « أسامة » على السفر .

- «أسامة» ليس صغيراً يا «سهام».
- إنه ابنى.
- هذا لا يجعله صغيراً.
- أنا الذى وهبته الحياة.
- لا يعنى هذا أن تسترديها منه.
- أتشجعه أنت أيضاً.
- ما الذى يجعلنى أمنعه ؟!
- بنتك.
- إنها زوجته.
- أتسافر معه ؟
- عندما يستقر ستسافر إليه.
- إذن فقد دبرتم كل شئ.
- أى بأس فى ذلك !!
- أهذا تأثير «إلهام» عليك ؟!
- أنا مقتنع بهذا الرأى.
- برغم ما تعرفه عن رغبتى !
- لقد طلب منى «أسامة» أن أقنعك.
- ولماذا اختارك أنت.
- يعلم مكانتى عندك.
- ولكن أنا لا مكانة لى عندك.

- كيف تقولين هذا ؟
- لو كانت لى مكانة عندك لمنعت «أسامة» من السفر !
- «سهام» اسمعى ما سأقوله لك. إسمعيه جيداً. «أسامة» سيسافر سواء وافقت أو اعترضت، ومن الخير لك أن تجعليه يسافر وهو ابنك. بدلاً من أن يسافر وهو لا يهمه أن يكون..
- أنا أعرف ابنى واعرف كيف أمنعه من السفر ولا شأن لأحد.
- افهمينى.
- لا أريد أن أفهم شيئاً أو أسمع شيئاً.. مع السلامة.

° ° °

حين ذهبت «فريدة» إلى شقة «درى» وجدته منتظراً فى البهو. خلعت معطفها وجلست تقول:

- مالك ؟
- مالى ؟!
- منذ الأمس وأنت إنسان آخر.
- تفكير معين يلحّ علىّ.
- ما هو؟!
- أنت قاربت من الزواج.
- عجيبة.
- ما العجيبة.



– لقد خطبني اليوم هشام زكي .

– هشام زكي ؟ !

– شاب في النادي .

– ماذا يعمل ؟ !

– متخرج في الهندسة هذا العام .

– وما صلته بك ؟

– أهي غيرة ؟

– أريد أن أطمئن عليك .

– ليست هناك صلة خاصة . مجرد واحد من الشلة .

– وماذا قلت له ؟

– وهل تتصور أن أقول له شيئاً قبل أن أسألك !

– وأنت ما رأيك ؟

– الزواج أمر لابد منه على كل حال .

– لا شك .

– هو شاب لا بأس به .

– أعطيني فرصة أسأل عنه .

– وهو كذلك .

– وأخبري « سهام » ، أقصد والدتك واطلبي إليها أن تجعلق أسأل عنه .

- لماذا أطلب منها هذا ؟ ! أليس من الطبيعى أن الذى يسأل عنه يكون أبى .

- طبعاً هذا ما كان يجب أن يحصل إلا أن أباك لا يرى أحداً ولا يذهب إلى النادى ، فالطبيعى أن أسأل أنا فأنا أقرب صديق للأسرة .

- معقول .

- إذن فستتزوجين .

- لقد كنت تقدر هذا كما قلت لى .

- المسألة تحتاج إلى إجراءات .

- نعم .

- وقد أعددت كل شئ .

- هذا ما كنت أتوقعه .

- ليس هذا غريباً على ذكائك

- موعد مع الدكتور مجيد فؤاد باكر الساعة الثانية عشر ظهراً .

- هل سأتألم ؟ !

- لا ألم مطلقاً فى ظرف ساعة تعودين عذراء كما كنت وتذهبين إلى البيت كأن شيئاً لم يحدث .

- وهو كذلك .

- ١٢ -

إذن فتلك هي الحرية ، إذن فهذا ما كنت أسعى له حياتي كلها ولم أصل إليه إلا اليوم ، كانت أمي ترد عني الحرية كلما تنسمت منها نسمة ، كانت تذكرني دائماً أنها ولدتني لتكون هي إرادتي ورغبتي وأملي ، وتحقيق هذا الأمل ، فإن لم يكن أملي هو رغبتها عدلته وأصلحت من شأنه حتى أصبح أنا رغبة من رغباتها وأمنية من أمانيها ، وهمسة من نفسها ، وهاجساً من هواجسها . تخلصت اليوم من كل سيطرتها ، بل تخلصت من مصر كلها لأنشئ حياتي هنا ، ويل نفسي من حب مصر . إنه هو الذي لم أستطع التخلص منه ، حنايا الذكريات ، وخفقات الجنون ، ونجاحي وفشلي وحبي ونضالي ودمالي وأفكاري ، أمسي ويومي وغدي ، وغد اطفالي أن كل عرق من عروق معجون بترابها . أحبها كما هي وكما أشتهي أن تكون ، بكل ما فيها من متاعب وبكل ما أرجو لها من رفعة وسمو . أحب التليفون فيها لا يجيب ولا يبدأ حديثاً ، وشوارعها بما صارت إليه ومواصلاتها المملوءة بالبشر متهالكة ، وقطارها وقد علاه الآدميون حتى لا يبين ، وأحبها وقد زالت عنها آثار الحروب هذه وعادت مرة أخرى عروس الشرق ومنارته .

لقد إستطاعت الحروب أن تخرب التليفونات والشوارع والحافلات

والقطارات ، بل حطمت مستوى التعليم أيضاً ، ولكن مصر هذه الخالدة تظل منارة الثقافة العربية ، لا ينازعها في ذلك منازع ، ليطبعوا الكتب حيث شاءوا وليطبعوا وليترجموا من الأدب الغربي ما شاءوا أن يترجموا ، وإنما ستظل الثقافة المصرية والفن المصري مصدر الثقافة والفن العربيين في المشرق أجمع .

حريتي من حب مصر ، لم أستطيع نزعها من نفس وكيف لي بهذا ! إن نزعت من نفس ارتباطي بمصر سأنتزعها كلها لا أبقى منها شيئاً . إنها تسيطر عليّ هنا أكثر مما تسيطر عليّ هناك ، إن لهم شعوراً نحوها عجيباً هنا . إنهم يكبرونها وينفرون منها ، يحبونها ويغضبون أبناءها . فقد خيل إليهم أننا نبحث عن المال عندهم . والذي يتخيلونه حق فإن الحروب التي خضناها أنضبت جيوبنا من المال ، ولكن لم تنضب رءوساً من ثقافة سبعة آلاف عام ، ولم تنضب تاريخاً من الجلال ، ولم تنضب مستقبلنا من الأمل إن يكن مر بنا زمان أحمق أجدب الخير منها فإن هذا العهد لم يستطيع أن يجدب تاريخها من الشموخ ومستقبلها من الأمل . ما أنا حتى أحب مصر . ما أنا إلا طفل عابث على هامش الحياة تحرك أمي خطواتي بإطاعتي لها أو بعصياني لرغباتها .

ألهو فاحطم حياة البنات ، أحب هذه وأتركها وأتزوج تلك وأطلقها ، وأنجب من زوجتي وقبل أن أرى الطفل أترك الأم . عابث أنا

حقير ، ولكنى لا أحس أنى شئ يستحق الوجود إلا حين أذكر أنى مصرى . وأنى أعبد بلدى من بعد الله .

إنها الحب الذى لا يخون . وان طلبت الفداء فلنفسى تطلبه ولأولادى ولأهلى ، وتقبلنى غنياً وفقيراً ، متعلماً وجاهلاً ، كريماً وحقيراً . تقبلنى كما أنا وكما هيأنى الله أن أكون .

إنها هى التى لم أستطع أن أتحررمنها وأنا أسعد الناس بعبوديتى لها . أما أمى فقد تحررت منها تماماً . ولكن هل نلت حريتى حقًّا ألا يستعبدنى هنا صاحب المال . هراء أنه يعطى مالا مقابل عمل أنا أتقاضى مالاً مقابل جهد . ويوم أضيق به أستطيع أن أتركه لغيره وتلك هى الحرية .

لقد أصبحت حرًّا . تحررت حتى من آثار أمى وطلقت « عبير » . طلقتها وهى حامل لا أريدها ولا أريد حتى أن أحب الطفل الذى أنجبته رغبات أمى .

خالتى « إلهام » كانت تريد طفلاً . ما البأس أن تتولى شأن الطفل ، فالطفل منى ومن ابنة زوجها فما هو عنها ببعيد .

وأرسلت إلى ماجدة أن تأتى لأتزوجها وقد جاءت مع أمها وتزوجنا .

عجيب أمرى . أكانت ماجدة هى من أحب ؟ أم تراها تمثل لى

شيئاً لا تريده أمى ؟ إننى بعد الزواج لم أكف عن ملاحقة الفتيات والنساء ! أى إنسان أنا ؟ أبحث عن حريتى بين أطلال النفوس التى أخربها .

مسكين كل إنسان يتصل بى ، أم ترانى أنا المسكين .

ماذا يخبئ الغد لى ولزوجى ولابنى ليتنى أعرف ؟ أولماذا أعرف ؟ إن أجمل ما فى الحياة أن تظل غيبًا مستوراً وأجمل ما فى الإنسان أن أحداً لا يعرف ما يخفيه هيكله ، فالله وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

مطبعة نهضة مصر